مجلة المجمع العلمي العراقي

هيئة اللغة السريانية

المجلد الخمسون

بغداد

١٤٢٠ـ١٩٩٩

ابن العبري

(١٢٢٦ ـ ١٢٨٦م)

بقلم البطريرك زكا عيواص
الرئيس الاعلى لطائفة السريان الارثوذكس في العالم
عضو المجمع العلمي العراقي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مقدمة :

يعد ابن العبري فارس كتبة السريانية الذي لايجارى ، واشهر علمائها على الاطلاق • فاز لنبوغه وعبقريته باعجاب المهتمين بالدراسات السريانية من شرقيين ومستشرقين ، فلقبه بعضهم بدائرة معارف القرن الثالث عشر للميلاد(١) • ولاغرو فقد تبحر في علوم الكتاب المقدس ، واللاهوت ، والمنطق ، والفلسفة ، والطب ، والهيئة ، والفلك ، والتاريخ ، والشرع البيعي ، والبيان والنحو والشعر • ودبجت يراعه في هذه العلوم وغيرها ستة وثلاثين كتابا تعد جميعها في القمة مقاما واهمية • كما اتقن اللغات السريانية التي الف بها اغلب مصنفاته ، والعربية التي وضع بها كتابة (تاريخ مختصر الدول) وغيره • واليونانية التي نقل عنها بعض ما كتب وصنف • وقد اجاد النثر في هذه اللغات وكتب الشعر البديع بالسريانية خاصة وتعمق بنحوها جميعا وصرفها وبيانها وبديعها • كما الم بالفارسية والارمنية •

---

(١) مقدمة الترجمة الانكليزية لكتاب (الحمامة) بقلم المستشرق الهولندي ونسنك A. J. Wensinck طبعة ليدن ١٩٠٩ •

فهو حقا فريد زمانه ووحيد دهره ٠

ويمتاز ابن العبري بمزجه الفكر العربي الصوفي بالفكر السرياني النسكي ، ويظهر ذلك واضحا في كتابيه (الايثقون) و(والحمامة) بالمقارنة بكتاب العلامة الشهير ابي حامد الغزالي (١٠٥٨ـ١١١١م) (احياء علوم الدين) ٠ فبين هذه الكتب علاقة ادبية قوية لاسيما في موضوع تنظيم الحياة الادبيـــة والروحية للانسان ، وفلسفة التصوف ٠

مراجـــع ترجمتـــه :

تناول ادباء السريانية وبعض المؤرخين القدامى والمعاصرين ترجمة ابن العبري بالدرس وبذل بعضهم جهدا كبيرا في ذلك يستحقون عليه الثناء العطر ٠ امالينبوع الرئيس الذي نستنقي منه الحقائق الناصعة في هذا الميدان فهو ما كتبه ابن العبري عن نفسه في تاريخه الكنسي وكتابه (الحمامة) وقصائده السريانية ، وتكملة ترجمته بقلم اخيه (الصفا) ، وسيرته المنظومة بالسريانية بقلم تلميذه المطران جبرائيـــل البرطلي ، وبتناولنا ترجمته بالتفصيل لابد ان نستعرض باختصار احداثا تاريخية كنسية ومدنية ذات علاقة بحياته ٠

ولادتـــه واســـماؤه :

هو مار غريغوريوس يوحنا ، ابو الفرج ، جمال الدين ، المعروف بابن العبري٠

ولد في ملطية(٢) ٠ قاعدة ارمينيا الصغرى سنة ١٢٢٦م من ابوين مسيحيين،

---

(٢) مَلَطية : مدينة على الفرات ، قال ياقوت الحموي في « معجم البلـدان » (٤ [ليبسك ١٨٦٩] ص ٦٣٤) : «مَلَطية : بلدة من بلاد الـــروم مشهورة مذكـورة ، تتاخم الشام ، وهي للمسلمين» ٠ ولملطية اهمية كبيرة لدى السريان حيـــث غدت مصدر اشعاع للعلم والمعرفة بعد الرها ٠ وممن لمـــع فيها البطريرك ميخائيل الكبير (ت ١١٩٩م) المؤرخ الشهير الذي يظن انه كان عم ابن العبري=

وسمي بالمعمودية يوحنا . وكان ابوه تاج الديـن هرون بـن تومـا طبيبـا ماهرا، وشماسا ، ذا مكانة اجتماعية مرموقة في بلدته وكنيسته .

توهم بعضهم بأن اهرون ابا ابن العبري كان اصل يهودي وتنصر ومن هنـا جاءت نسبة المترجم بالسريانية ܒܪ ܥܒܪܝܐ (بار عبرويو) وبالغربية (ابـن العبري) وان ابن العبري كان متزوجا ، له ابـن اسمه فرج ، ولذلك لقب بـ (ابي الفرج) (٣) . وقد دحض ابن العبري هذه التهمة ببيت شعر قاله بالسريانية عـن نفسـه وهـو :

ܐܢܐ ܒܪ ܥܒܪܝܐ ܕܐܦ ܒܪ ܥܒܪܝܐ ܠܝ ܒܪ
ܒܪ ܥܒܪܝܐ ܐܝܟ ܐܒܝ ܕܐܒ ܒܪ ܥܒܪܝܐ ܠܝ ܒܪ
ܒܪ ܥܒܪܝܐ ܐܦ ܒܪ ܥܒܪܝܐ ܐܝܟ ܒܪ ܥܒܪܝܐ ܠܝ ܒܪ
ܒܪ ܥܒܪܝܐ ܐܦ ܒܪ ܥܒܪܝܐ ܐܝܟ ܒܪ ܥܒܪܝܐ ܠܝ ܒܪ (٤)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

= كما ذكر المطران يوسف الدبس (ت ١٩٠٧) في كتابه «تاريـخ سـورية» ـ (٦[بيروت ١٨٩٥] ص ٣٤٨ نقلا عن كتاب الليتورجيات لرينودوسيوس ص ٤٦٩ الذي روى انه وجد في نسخة احد كتب ابن العبري ، في باريس ، انه كان ابن اخي البطريرك ميخائيل الكبير) .

(٣) دحض البطريرك افرام الاول برصوم رأي الذين تجنوا على ابـن العبري بقولهم انه من اصل يهودي ، في مقال نشره بمجلة «الكلية» الصادرة في بيروت سنة ١٩٢٧ ؛ ومجلة الحكمة في القدس في سنتها الثانية عام ١٩٢٧ ؛ وبكتابة «اللؤلؤ المنثور» طبعة بغداد سنة ١٩٧٦ ص ٤١٣ ومنه اقتبس البطريـرك يعقوب الثالث بكتابه «الحقائق الجلية» دمشق ١٩٧٢ ص ٢٥ـ٣٧ .

(٤) ديوانه السرياني ، طبعة الاب يوحنا دولباني (مطران ماردين بعدئذ)ـ القدس ١٩٢٩ ص ٧١ .

وتعريبه : «اذا كان سيدنا (المسيح) سمى نفسه سامريا ، فـــلا تخجلن اذا دعوك ابن العبري ، فان هذه التسمية صادرة عن نهر الفرات لا عن عقيدة معيبة ولا عـــن لغـــة» .

من هنا نعلم ان تسميته بابن العبري جاءت لالكونه من اصل يهودي او تكلمه بلغة عبرية ، بل لانه ولد في اثناء عبور نهر الفرات (٥) . او لاصل عائلته مـــن قرية (عبرة) (٦) الواقعة على نهر الفرات بالقرب من ملطية التي جلا اليها جده .

اما اسم (هرون) الذي دعي به ابوه ، فقد استعمله المسيحيون والمسلمون معا كما استعملوا اسم موسى مثلا . وهو لايدل على انتمائهم الى الدين اليهودي ابدا. فمن المسلمين نذكر الخليفة هرون الرشيد ، ومن المسيحيين نذكر على سبيل المثال لا الحصر البطريرك ديونيسيوس هرون عنجور (ت ١٢٨٠م) والبطريرك يوحنـــا هرون بن المعدني (ت ١٢٦٤م) .

اما كنيته (ابو الفرج) فلا تدل على انه كان متزوجا او كان له ابن اســـمه فرج(٧) . فمن الثابت ان ابن العبري كان متبتلا ، وان امثال هذه الالقاب والاسماء والثكني (بابن فلان وبابي فلان) اقتبسها السريان من العرب الذين يستعملونهـا كثـــيرا .

نشـــأته :

نشأ ابن العبري في بيت رفيع العماد تتضوع في جوانبه رائحة العلم والفضيلة، وشغف باكتساب المعرفة ومحبة الخير . ولقنه ابوه الطبيب مبادىء الطب ، وسلمه

---

(٥) اللؤلؤ المنثور للبطريرك افرام الاول برصوم طبعة بغداد ١٩٧٦ ص ٤١٣ .

(٦) المجلة البطريركية ـ دمشق العدد ١٣ السنة الثانية .

(٧) كما ادعى المستشرق (برنستين) وفند رأيه هذا علماء الادب السرياني مـن شرقيين ومستشرقين . (انظر الاب لويس شيخو ـ مجلة المشرق البيروتيـة سنة ١٨٩٨ ص ٢٩١ و ٢٩٢) .

الى امهر الاساتذة فاتقن على يدهم اللغات الثلاث : السريانية والعربية واليونانية، كتابة وخطابة وهو لما يزل شابا يافعا غض الاهاب • ثم درس الارمنية والفارسية وتعمق بالعلوم الدينية والمدنية المعروفة عصرئذٍ (٨) •

هجرته الـى انطاكيـــة :

وفي سنة ١٢٤٣م رحل ابن العبري برفقة ابيه هرون واسرته الى مدينة انطاكية سورية (٩) • على اثر الغارات التي شنتها جيوش هولاكو علـى مدينة ملطية • واخذ ابن العبري عن علماء انطاكية الشيء الكثير من العلوم والمعارف •

نســـــكه :

وفي سنة ١٢٤٤م قصد ديرا بجوار انطاكية حيث تنسك في مغارة بقربه منكبا على اعمال الزهد والتقشف واكتساب العلم الروحي والفضيلة ، فـذاع صيته في الاصقاع وزاره في مغارته البطريرك اغناطيوس الثالث داود (ت ١٢٥٢م) • ونظـم ابن العبري بالسريانية بيت شعر يصف به هذه الزيارة وهو :

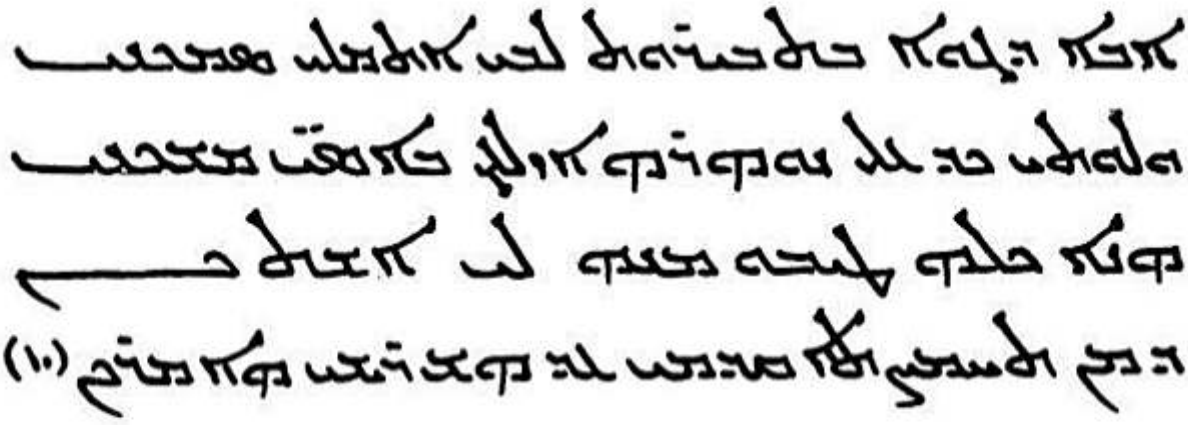

(٨) كتابه الحمامة ... تحقيق وتعريب كاتب هذه السطور طبعة بغـــداد ١٩٧٤ ص ٢٠٣ •

(٩) كتابه (تاريخ مختصر الدول) بالعربية طبعة بيروت ١٩٥٨ ص ٤٤٦ •

(١٠) ديوانـه السرياني ص ٤٨ •

وتعريبه : زارني البطريرك امس فاضاءت جوانب منسكي متلالئة بوجوده، وغضدني وانا في غمرة اتضاعي لذلك فان راسي لا يزال حتى الان مطاطئاحياء للنعمة الفائقة التي غمرني بها ٠

ولعل ما صادفه ابن العبري من المصاعب والمتاعب ، والكوارث الناجمة عن غزوات المغول ، زهّده بالدنيا فترفع عن المادة حتى انه لم ياخذ درهما بيده طوال ايام حياته ، واحب حياة التصوف ، وعلى الرغم من تبوئه مركزا دينيا رفيعا في الكنيسة ، ظل يتذوق حلاوة الاختلاء بالله فوصفها في كتابه (الحمامة) (١١) ٠ وصف خبير متمرس ٠

اسقفيته :

بعد ان قضى ابن العبري سنة كاملة متعبدا في مغارته في انطاكية ، غادر الدير سنة ١٢٤٥م وجاء الى طرابلس الشام حيث اكمل دراسته على يعقوب الاستاذ النسطوري ، والتقى هناك بصليبا بن يعقوب من ابناء الكنيسة السريانية الارثوذكسية في الرها الذي كان مثله يدرس علوم الطب والبيان والمنطق على يد الاستاذ يعقوب ٠ وبلغ البطريرك اغناطيوس الثالث داود (ت ١٢٥٢م) خبر تقدم الطالبين النجيبين بالعلم والمعرفة فاستدعاهما الى انطاكية ورسمهما كاهنين ثم اسقفين في ١٤ ايلول ١٢٤٦ م وعين صليبا على ابرشية عكا وسماه مار باسيليوس ولكنه لم يدخلها ونقل الى ابرشية حلب ٠ وعين يوحنا ابن العبري على ابرشية جوباس من اعمال ملطية وسماه مار غريغوريوس ، ولم يكن قد تجاوز العشرين من عمره ٠ قال ابن العبري في ذلك مايأتي : «ولما بلغت العشرين من عمري اضطرني البطريرك المعاصر الى ان اتقلد رئاسة الكهنوت ، حينئذ الجاتني الضرورة الى ان اجادل ذوي المعتقدات المخالفة من مسيحيين وغرباء ٠ مجادلات مبنية على القياس المنطقي والاعتراضات ٠ وبعد دراستي هذا الموضوع مدة كافية وتاملي فيه مليا تاكد لدي ان خصام المسيحيين بعضهم مع بعض لايستند الى حقيقة بل الى الفاظ

(١١) (الحمامة) ص ٨٩ و ٩٠

واصطلاحات فقط ... لذلك استأصلت البغضة من اعماق قلبي واهملت الجدال العقائدي مـع الناس» (١٢) .

ويعترف ابن العبري بضعفه امام الشكوك التي ساورته روحيا واحجم عـن ذكر نوعها وتفصيلها لئلا يصير ذلك سبب عثرة للبسطاء ، ولكنه ينوه بجانب منها فيقول : «واجتهدت على ان ادرك فحوى حكمة اليونان اي المنطـق والطبيعيات والالهيات والحساب والاداب وعلم الفلك ، وحركات الكواكب ... ولم اجد ضالتي المنشودة في العلوم الخاصة والعامة كافة . فقد اوشكت ان اهلك هلاكا تاما حيث اصطادتني فخاخ هذه العلوم وكانها قد رصدتني وانني امسكت عن ذكر ذلـك وايضاحه لئلا يضر بكثير من الضعفاء . والخلاصة انه لو لم يعضد الرب ضعـف ايماني في الازمنة الخطرة ولو لم يرشدني الى التامل في كتب العلماء كالاب اوغريس وغيره من المغاربة والمشارقة وينتشلني من هوة الهلاك والدمار . لكنت قد يئست من الحياة الروحية لا الجسدية . فقد درست تلك الكتب غضون سبع سنـين ، ويتابع قوله بوصف حالته في شكوكه : « وكان ضميري يؤنبني احيانـا وهـو يخاطبني بقوله : لا تهـذ ولا تظن ان كل ما لا تعرفه ليس بموجود لانما تعرفه هو اقل بكثير مما لا تعرفه . وكنت بشكوكي هذه اعرج على الجانبين حتى اشرقت علي كالبرق اشعـة نـور خاطف لا يوصف فتناثر جـزء من القشور التي كانت متلبدة على عيني فانفتحتا . وابصرت قليلا ، وكنت اصلي بلا فتور ليتداعى كليا السياج القائم في الوسط لارى المحبوب غير المنظور لا بالظلام بل علنا »

وحفر في اعلى عصا الرعاية التي يمسـك بها الاسقف عـادة بيتا من الشعـر السرياني يناجي بـه ربـه قائلا :

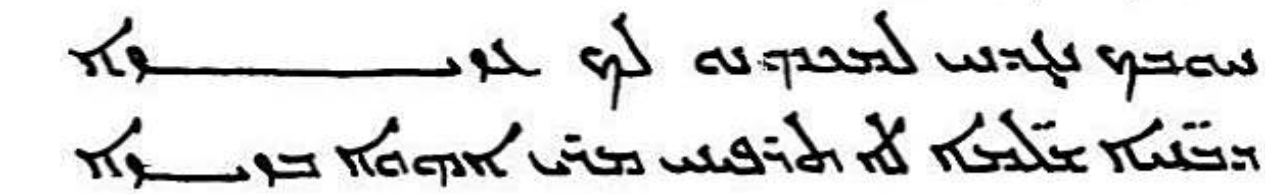

(١٢) فيه ص ٢٠١ ـ ٢٠٧

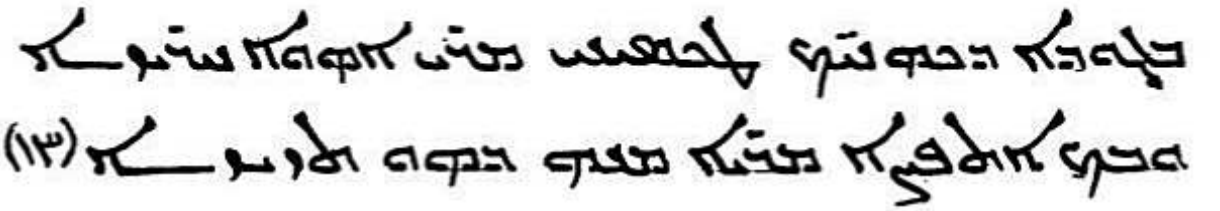

وتعريب ذلك : « اللهم ايها القوي ان حبك جذبني لاقدم لك الذبائح التامة . فلا تهملني لئلا يزدرى بي ، ضمني الى جوقة كهنتك فانتظم في مصفهم وانجو بوساطتك يارب من ابليس المارد » .

وبعد سنة من رسامته اي في سنة ١٢٤٧م نقل ابن العبري الى ابرشية لاقبين من اعمال جوباس فدبرها مدة خمس سنوات .

وفي سنة ١٢٥٢م انتقل البطريرك اغناطيوس الثالث داود الى جوار ربه واختلف آباء الكنيسة في انتخاب من يخلفه في البطريركية فوقع اختيار بعضهم على ديونيسيوس هرون عنجور مطران ملطية . اما الاخرون فعلى المفريان يوحنا هرون ابن المعدني ويذكر التاريخ ان ابن العبري وقف الى جانب ديونيسيوس عنجور ، ولعل ذلك لانه كان مطران ملطية وصديقا للشماس هرون والد ابن العبري . وتظهر لنا اطوار عنجور الغريبة من بيت شعر سرياني نظمه ابن العبري في هجائه قائلا :

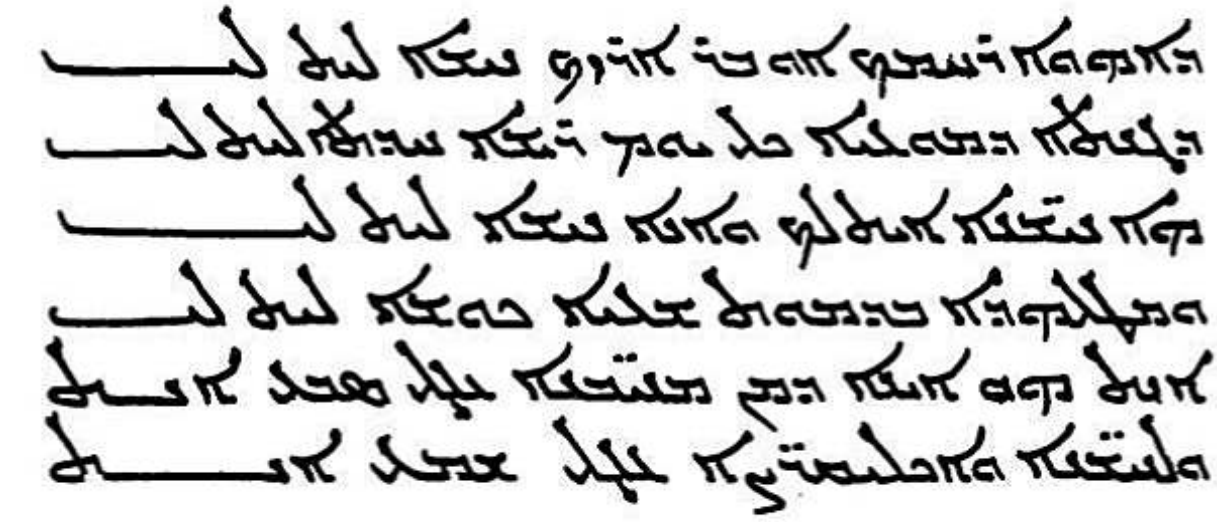

(١٣) ديوانه ص ١٢٥

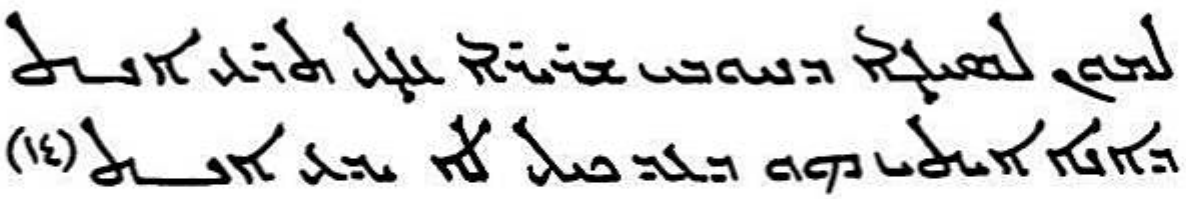

وتعريب ذلك :ـ « لم يخطر ببالي قط ان اتخذك صديقا او نديما لانني لا امتلك جنينة تنبت كل يوم راسا جديدا • فانت ذو اغراض ، اما انا فليس لي غرض ، ولا استقرار لي (معك) وكاني في لعب ، انت يا هذا تمل من الاحباء سريعا ، وتسمع (مصدقا) بسرعة المغرضين والثلابين • لماذا بسهولة تنقض سياج محبتي الصادقة ؟ فانا من لم تعرفه بعد » •

في سنة ١٢٥٣ م رقى البطريرك ابن المعدني باسيليوس صليبا بن يعقوب وجيه اسقف حلب الى رتبة المفريانية (١٥) وسماه اغناطيوس • وجاء هذا الى الموصل محملا بالهدايا الثمينة ، فقوبل باكرام من بدر الدين لؤلؤ واليها الذي خلع عليه حلة ، واعجب بلباقته وعلمه الواسع ، فقد كان يجيد العربية وصناعة الطب والعلوم الفلسفية ، كما كان رخيم الصوت جميل الصورة • ولكنه كان ضعيفا في العلوم الدينية • وصعد الى دير مار متى ليحتفل بتجليسه على كرسي المفريانية بحسب العادة المتبعة يومذاك فاستقبله الرهبان برئاسة ابي الحسن بن شماع بخشونة بلغت درجة الوقاحة ، الامر الذي امتعض منه المفريان وغادر الدير متفقدا الكنائس فاحبه اغلب الشعب • ولكن لكثرة الشغب والفتن غادر بلاد المشرق بعد سنة ونصف راجعا الى حلب • وكان على كرسيها زميله في الدراسة في طرابلس المطران غريغوريوس يوحنا ابن العبري الذي نقل الى كرسيها سنة ١٢٥٣م بامر ديونيسيوس عنجور على اثر خلوه برسامة صليبا مفريانا • اما المفريان صليبا فاستاجر دأرا خارج الكنيسة واخذ يتعاطى

---

(١٤) فيه ص ٥٤

(١٥ رتبة المفريانية هي الرتبة الثانية بعد البطريركية في الكنيسة السريانية والارثوذكسية وكان لصاحبها السلطة على الاساقفة في منطقة ما بين النهرين الشرقية والعراق وفارس اي كل ما كان يدخل سابقا في المملكة الساسانية •

ARCHIVE http://ArchiveBeta.Sakhrit.com

الطب • وبعد سنة ذهب الى دمشق ، وبالرشوة استحصل على امر من سلطانها يخوله الاستيلاء على كرسي حلب وابطال ولاية ديونيسيوس عنجور على كنائس سورية • فآثر ابن العبري اعتزال العمل الاداري اجتنابا للخصام وعاد الى ملطية وخلا في دير مار برصوم لدى البطريرك ديونيسيوس عنجور ، وبعد سنة ذهب الى دمشق برفقة سفراء من التتر ونال من الملك الناصر تأييدا لديونيسيوس عنجور فجاء هذا الى حلب وتبوأ كرسيها فغادرها المفريان اغناطيوس صليبا الى طرابلس وبعد مدة مرض مرضا عضالا وانتقل الى جوار ربه يوم الاربعاء ١٢ حزيران سنة ١٢٥٨م(١٦) ورثاه ابن العبري خدينه في الدروس الطبية والفلسفية بقصيدة سريانية عصماء جاء في مطلعها :ـ

وتعريب ذلك : « خيم الظلام على العالم بانتقالك منه ياحبيبي يا قمر الاخوان قل لي متى يكون موعد ظهورك ! ؟ لاجعل لك بناظري جسرا (فاراك) كما من وراء النوافذ وكاعضاء للجسد اعد لك وجهي طريقا » •

ولما اغتيل البطريرك عنجور في شهر شباط من سنة ١٢٦١م قال فيه ابن العبري البيت السرياني الاتي :ـ

---

(١٦) التاريخ الكنسي لابن العبري بالسريانية (المفارنة) في ترجمة اغناطيوس صليبا •

(١٧) ديوانه ص ٣١

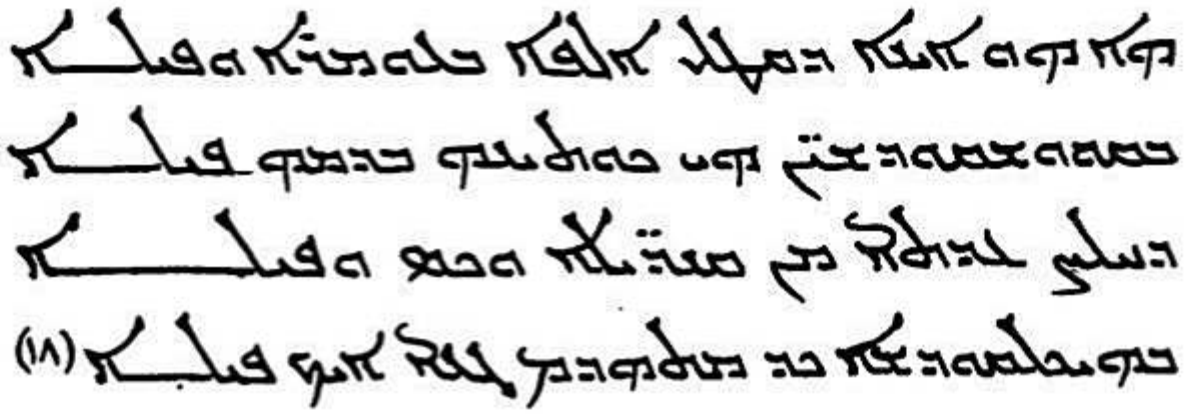

وتعريبه : « هوذا من قتل في الدير الف شخص وفيلا ، لطخ ثوبه في قـدس الاقداس بدمه . ان من سلب الكنيسة قناديلها وكؤوسها وصوانيها ، يستغيـث كفيل وهـو يقطع في قدس الاقداس إربا إربـا » .

وبعـد موت عنجور اجمعت الاراء على البطريرك يوحنا هرون ابـن المعدني ، وقـدم له ابـن العبري آيات الولاء وواجب الطاعة ، فسر به ابن المعدني كثيرا وفكر في ترقيته الى منصب المفريانية ولكن المنية حالت دون ذلك فقد انتقل ابـن المعدني الى جوار ربـه سنة ١٢٦٣م ورثاه ابـن العبري بقصيدة بليغـة جاء في مطلعهـا : ـ

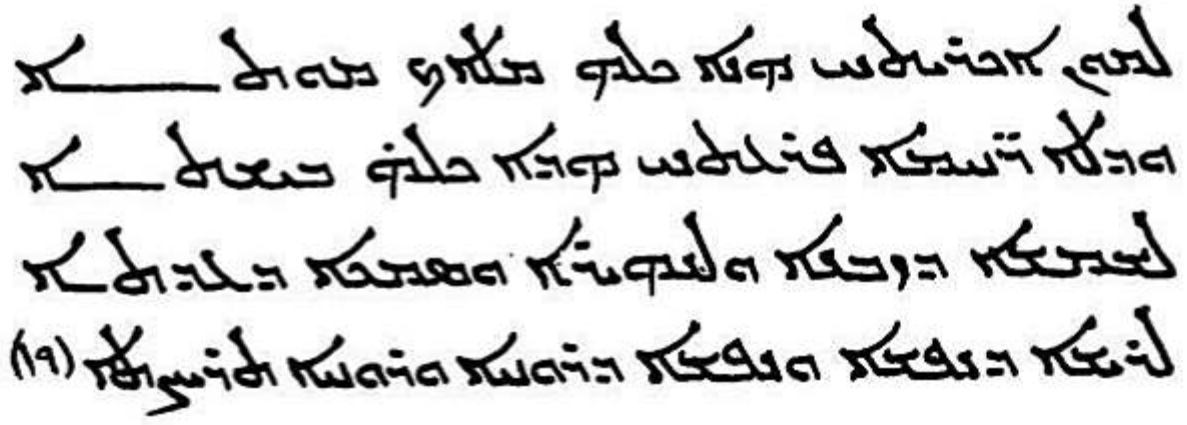

وتعريبه : «لما احزنتني الى درجة كهذه يا ملاك الموت ، وبدون رحمة اصبتني بهـذا الشر (فاخذت) شمس الزمان المنير وسند البيعة ورأس النفس ونفس

(١٨) فيـه ص ٥٥

(١٩) ديوانـه ص ٣٣ـ٣٥

الروح والروح المستقيمـــة ؟ ! » ٠

وقضى ابـن العبري اثنتي عشرة سنة في تدبير ابرشية حلب ، واسس بالقـرب من كنيستها فندقا كمستشفى للمرضى ومـأوى للغرباء ولقى شدائـد كثـيرة ، وظروفا صعبة بسبب الحروب المتتالية والاضطرابات السياسيةابان الغزو المغولي، وكان في كل ذلك الرجل الحازم المملوء حكمة وتواضعا ٠

ففي سنة ١٢٥٨م احتل المغول بقيادة هولاكو مدينة بغداد وانقرضت دولـة العباسيين وسادت الفوضى جميع بلاد العراق وسورية ، وعاث جيش هولاكـو فسادا ٠ وعند وصولهم الى حلب خرج ابـن العبري للقاء هولاكو يستعطفه عـلى رعيته من ظلم المغول ، وانشد امامه بالسريانية بيت شعر نقله عن الفارسية وهو :

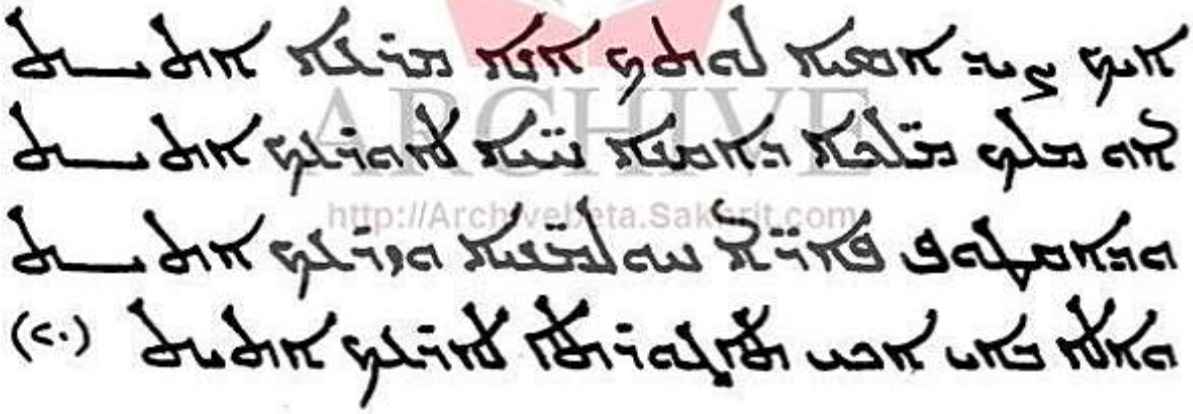
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٢٠)

وتعريبه : « يا ملك الملوك ، لقد قصدتك كما يقصد المريض الطبيب ، وخرجت للقائك لانال حياة واجتني ثمار زرعك التي تشفي العليل ، والا فلاي تجارة اخرى وطئت ارضـــك ؟ » ٠

ولم تجد شفاعة ابـن العبري بشعبه نفعا فقد سبق السيف العذل ، وقتـل المغول العديد من السريان والروم وغيرهم في حلبو كان عدد الذين قتلوا في حلب لا يقل عمن قتـــل في بغداد (٢١) ٠

---

(٢٠) ديوانه ص١٦٥ ٠

(٢١) تاريـــخ الدول بالسريانيـــة

مفريانيتـــــه

ولما تبوأ الكرسي البطريركي اغناطيوس الرابع يشوع (ت ١٢٨٣ م) خلفا لابـن المعدني سنة ١٢٦٤م اجمع اساقفة المجمع الانطاكي على انتخاب ابن العبري مفريانا على المشرق بعـــد خلو هذا الكرسي مدة ست سنوات عـلى اثر وفـاة المفريان اغناطيوس صليبا (ت ١٢٥٨ م) ٠

وجرت حفلة رسامة ابـن العبري مفريانا على المشرق في ١٩ كانو الثـاني سنة ١٢٦٤م في سيس قاعدة قيلقية وحضرها هيوم ملك قيلقية واولاده واعيـان دولته واساقفة من الارمن الى جانب اساقفة السريان وجمهور غفير من الشعب ٠ والقى فيهـا ابن العبري خطابا بليغا بموضوع رئاسة الكهنوت ، استهلـه بآيـة المرتل : « انت يارب انشأتني ووضعت علي يدك » (٢٢) ٠

وقام ابـن العبري على اثـر رسامته بزيارة هولاكـو فاستقبلـه بحفـاوة لائقة لمكانته العلمية والدينيـة ٠واهتم ابـن العبري لتثبت رئاسـة البطـريرك اغناطيوس الرابع يسوع (ت١٢٨٣م) الروحية ومهد لزيارته لهولاكو فلما وصل البطريرك رحب بـــه هولاكو اجمل الترحيب ومنحه براءة تثبت حقوقه ، كمـا اثنى ببراءة اخرى على المفريان ابـن العبري وخلـع عليهما ، ومنح براءة ثالثـة لاسقف قيسارية قبادوقية السرياني وفي السنة التالية توفي هولاكو وخلفه بالملك ابنه اباقا الذي نسج على منوال ابيه في اكرام البطريرك والمفريان ٠

وبعد مقابلة هولاكو بمدة وجيزة توجه ابـن العبري الى العـراق ليتولـى كرسي المفريانية فرحب به رجال الدولة وابناء الكنيسة في الموصل وقوبل باحترام لائق في دير مار متى ٠ وزار بغداد فكرمه مكيخا جاثليق النساطرة ،وكان زمـن الفصح قد حل فكان السريان والنساطرة يحتشدون في كنيسة مار توما السريانية في محلة المحول (٢٣) لسماع الطقوس الدينية التي كانت تتلى برئـاسة المفريان

---

(٢٢) مزامـــــير داود (١٣٨ :٥)

(٢٣) وتدعى ايضا قطيعة الدقيق وهي في جانب الكرخ ٠

ومن جملتها طقس تقديس الميرون . وامضى ابن العبري الصيف كله في بغداد ورسم مطرانين احدهما لبغداد والاخر لاذربيجان وغادرها في الخريف ، ولما زارها ثانية سنة ١٢٧٧م قال فيه دنخا جاثليق النساطرة « طوبى لشعب اصاب مثل هذا »(٢٤) .

ونهض ابن العبري لتدبير ابرشيات المشرق العديدة الواسعة مدة اثنتين وعشرين سنة ، ورسم لها اثني عشر اسقفا اتصفوا بالتقوى والعلم الغزير ورمم وجدد كنائس واديرة في نينوى وبغداد واربيل وتبريز ومراغة . وكان مولعا بحسن هندسة الكنائس وزخرفتها حتى انه طلب مرة من هوسبينا خاتون ابنة ملك المغول فارسلت اليه احد المصورين اللذين كانت قد استقدمتهما من القسطنطينية من لدن ابيها الملك لزخرفة كنيسة اليونان في تبريز ، فعهد اليه ابن العبري زخرفة كنيسة ما يوحنا ابن النجارين التي شيدها جنوب غربي برطلة ونقل اليها ذخيرة الشهيد ابن النجارين (٢٥) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الخلاف بين البطريرك وابن العبري

دون ابن العبري في تاريخه ما عاناه من اوصاب في عمله الرسولي وما جرى بينه وبين البطريرك اغناطيوس الرابع يشوع من خلاف ، ذلك ان البطريرك لم يعر اذنا صاغية الى اراء ابن العبري الصائبة التي تتوخى خير الكنيسة وازدهارها وحفظ كرامتها . وتفاقم الخلاف بينهما ، وكاد يؤدي الى شقاق .

وسنة اصيب ابن العبري بمرض الدوسنطاريا وكان يومئذ في سيس بقيلقية ، وصار قاب قوسين او ادنى من الموت ، ولكن العناية الالهية شفته ، فارسل اليه البطريرك رسالة يهنئه بالشفاء فعادت بينهما المياه الى

(٢٤) المشرق ١[بيروت ١٨٩٨] ص ٤١٥

(٢٥) التاريخ الكنسي(المفارنة) لابن العبري ـ ترجمة حياته بقلمه

مجاريها اذ زاره المفريان في دير مار برصوم ٠

وفاة البطريرك يشوع وتنصيب البطريرك فيلكسين

ولما شعر البطريرك اغناطيوس الرابع يشوع بدنو اجله ارسل يستدعي ابن العبري ليسلمه ادارة البطريركية ، فلم يتمكن هـذا من السفر لاضطراب حبل الامن في تلك الفترة بسبب الحروب المتواصلة ٠ وتوفي البطريرك سنة ١٢٨٢ م في دير فقسيماط من اعمال قيلقية ٠ واجتمع بعض الاساقفة في دير مار برصوم وخلافا لقوانين الكنيسة رسموا فيلكسين نمرود بطريركا دون علم المفريان ابن العبري وذلك في اوائل سنة ١٢٨٣ م واستحصلوا لـه براءة من ملك المغـول ، فامتعض ابن العبري من هـذا العمل المشين الذي جاء ضد ما سنته المجامع الكنيسية ٠

وحاول البطريرك الجديد واساقفته ترضية المفريان ابن العبري معتذرين اليه عما جرى ، وارسلوا اليه وفدا الى تبريز حيث كان يومئذ فلم يستقبله ٠ ثم قصده الاستاذ شمعون الطبيب وهو عم البطريرك الجديد برفقة بعض الاساقفة مستعطفين، فرفض طلبهم ايضا قائلا : « ان الآباء القديسين حددوا منذ زمن بعيد الا يقام مفريان بدون البطريرك ولا يقام بطريرك بدون المفريان ، وحيث ان هؤلاء الاساقفة قد تعدوا الشريعة وقوانين الآباء فليس لي معهم نصيب ولا اشاركهم في مخالفتهم الشريعة » ثم جاءه تاج الدولة ابن الاستاذ شمعون الذي كان تلميذه وطلب اليه متضرعا فاستقبله ابن العبري ولم يرد طلبه ٠ وكتب الى البطريرك فياكمسين نمرود رسالة شرح فيها اسباب عدم مصادقته على رسامته البطريركية، موضحا استياءه من استئثار بعض الاساقفة بامر الانتخاب والرسامة ضاربين بالقوانين الكنسية عرض الحائط وان امتعاضه منهم ليس بسبب طموحه الى درجة البطريركية كما يظن بعضهم ، فهو لم يكن يوما ما يرغب في البطريركية ٠ ومما قاله : ربما ظننت ان لي رغبة في البطريركية فلم اصادق على انتخابك ورسامتك بطريركا ٠ ان الله فاحص القلوب يعلم انه ولا عضو من اعضائي يتوق الى هذه الدرجة ، لاسباب شتى ، منها اولا : انني قد

اؤتمنت على رئاسة الكهنوت منذ اربعين سنة تقريبا ، قضيت عشرين سنة منها في الغرب ، وعشرين في الشرق ، وقد سئمت الاعمال الادارية ولذلك اطمح الان الى العزلة واتوق الى الراحة والحياة الهادئة استعدادا للحصول على النهاية الصالحة المحفوظة لآل السلام • ثانيا : انا بنعمة الله اتنعم براحة تامة برعاية الكنيسة في الشرق ، فلا داعي لاستبدالها باخرى كما فعل اسلافي المرحومون • وان ما حصلت عليه من الراحة في الشرق لم يحصل عليه غيري على الرغم من اضطراب الزمان ثالثا : ولو افترضنا انه كانت لي رغبة في البطريركية كسائر البشر الذين يطمحون الى درجة اعلى ، غير ان الخراب الذي عم ابرشيات المغرب منذ امد بعيد كفيل بازالة هذه الرغبة • فهل ارغب في انطاكية التي يبكى عليها ويناح ؟ ام في ابرشية گومايا الكهنوتية التي لم يبق فيها بائل على حائط ، او دبروثة او منبج او قلونيقوس او الرها او حران التي اقفرت جميعها ؟ او الابرشيات السبع(٢٦) المحيطة بملطية التي لم يبق فيها بيت واحد ؟ ! • من هنا يعرف ان سبب حزني هو عملكم غير الممدوح بل الذميم اذ بدون رضى الغربيين والشرقيين عملتم ما عملتم • يرجى علمكم ، وربكم الذي لا يحابي الوجوه يعلم كل شيء(٢٧) •

وفي سنة ١٢٨٦ بلغ المفريان ابن العبري الستين من عمره ، وروى اخوه برصوم الصفا ان ابن العبري كان يتوقع حلول اجله في تلك السنة وكان يردد القول انني بحسب علم الفلك ولدت في السنة التي بها اجتمع زحل والمشتري في برج الدلو ، ورسمت مطرانا بعد عشرين سنة وهي السنة التي اجتمع بها زحل والمشتري في برج الميزان • ونصبت مفريانا بعد عشرين سنة من ذلك التاريخ وهي السنة التي اجتمع بها زحل والمشتري في برج الجوزة • واتوقع انتقالي من هذا العالم في سنة ١٢٨٦ م وهي السنة التي يجتمع فيها زحل والمشتري في برج الدلو كما اجتمعا في سنة ميلادي • والى هذا اشار ببيت شعر نظمه بالسريانية وهو :

---

(٢٦) وهي لاقبين ، وعرقا وقليسورا ، وجوباس وصمحا ، وقلوديا ، وجرجر •
(٢٧) سيرته بقلمه في كتاب التاريخ الكنسي (المفارنة)

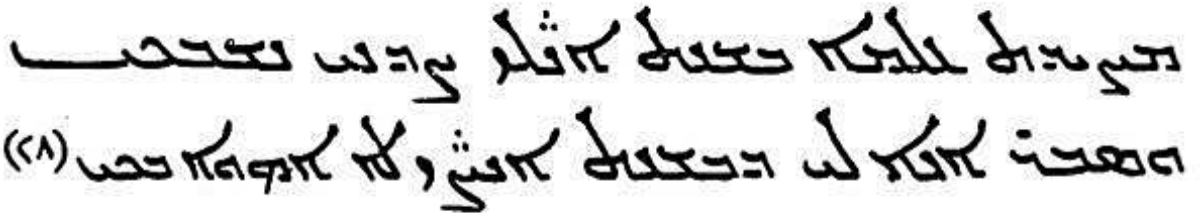

وتعريبه : ايا صنارة العالم لقد اصطادني شركك في سنة ١٥٣٧ يونانيـة (. = ١٢٢٦م) واظـن انني ساغادرك في سنة ١٥٩٧ ي (= ١٢٨٦م) ٠

ويروي لنـا برصوم الصفا ان اخـاه ابـن العبـري كان يتوجس شـرا من سنة ١٢٨٦م ، فلما حلت كان يؤكد بان لا مناص من الموت خلالها ٠ وكانـت الموصـل مقره تتعرض ايام الصيف لهجمات اللصوص الذين يأتونها من سورية ٠ وفي تلك السنة كثرت في الموصل حوادث العنف من سلب ونهب وسبي وقتـل٠ فخاف برصوم الصفا على اخيه ابـن العبري لئلا يطرأ عليه ما يعرض حياته للخطر فتتم تكهناته ٠ لذلك الح عليه بالانتقال الى مراغة في اذربيجان ففعل ٠ وقـوبل بالترحاب من اهل مراغة على مختلف مذاهبهم ٠ وطلـب اليه علماء المسلمـين تعريب كتابه السرياني في التاريخ العام ، فلبى طلبهم واتم نقله الـى العربيـة ملخلا ثلاث صفحات في نحو شهر بلغة عربية بليغة ، واسماه (تاريـخ مختصـر الـدول) ٠

انتقالـه الى جـوار ربـه

وانتابته الحمى الشديدة ليلة السبت ٢٨ تموز سنـة ١٢٨٦ م وفـي اليـوم التالي وصف له الاطباء دواء رفض تناوله قائلا : لا فائـدة مـن ذلك لان الاوان آن للانتقال من هـذا العالم ٠ ولازمته الحمى ثلاثة ايام ٠ وطلب قلما وورقـة ليكتب وصيته ، فلم يقو على الكتابة ٠ وكـان يحبس يده اليسرى بيده اليمنـى ويقول « لقد هـد حيلي وخارت قواي ، ظلمتني يا اخي فلم تتركني اموت بـين جمع الاساقفة والرهبان والكهنة والشمامسة الذين خدمتهم كرئيس عليهم مـدة

(٢٨) ديوانـه ص٧٣

اثنتين وعشرين سنة ، ليحتفلوا بتشييع جثماني ٠ لقد هربتني يا أخي من الموت فلم يجـد تهريبك اياي شيئا ٠ فتقو اذن وتشجع ، ولا تبـك ولا تكتئب بافراط كان هذا الامر جديد في العالم ، ٠ وكان يتلفظ بمثل هـذا الكلام طوال ذلك النهار وهو مبتسم الثغر مبتهج غير خائف من الموت ٠ ثم نادى كاتبه الشماس سعيـــد الطبيب ، وطلب اليه ان يكتب ما يمليه عليه وابتدأ كلامه بالسريانية بقول اشعيا النبي

ܒܪܢܫܐ ܐܝܟ ܥܡܒܪܐ ܝܘܡܘܗܝ ܘܐܝܟ ܗܘܝܐ
ܕܚܩܠܐ ܗܟܢ ܢܦܪܥ (٢٩) .

« الأنسان كالعشب ايامه ، وكزهر الحقل هكذا ينمو » ٠ ثم اعلن صورة ايمانـة وهيأ بذلك كراسا للكرسي البطريركي ، واخر لكرسي المفريانية لتدبـير قلايته ، وسلمهما بيـد اخيه ٠ كما اوصى تلاميذه على الثبات بالمحبة بعضهم مع بعض ، وعدم التفرق قائلا : ما دمتم ثابتين بالمحبة فأنا اكـون بينكم ، ولما سمعوا وصيته مزقوا ثيابهـم وعفروا وجوههـم بالتراب ، واجهشـوا بالبكـاء ٠ امـا هو فاستمر يتحدث اليهم وهـو يبتسم حتى ساعة متأخرة من الليل اذ انطفأ نـور المصبـاح الوهاج وسقط عمود الكنيسة السريانية الارثوذكسية الثابت المتيـن ٠ وهكذا انتقل الى جوار ربه ليلة الثلاثاء المصادفة ٣٠ تموز من السنة ١٢٨٦ م ٠ وكان في مراغة يومذاك يهبالاها جاثليق النساطرة المكـرم الذي لما بلغه نعي ابـن العبري حزن حزنا شديدا وامر بالا يخرج احـد الى عمله ذلك النهار وان تغلـق الاسواق وان يلبس الناس ثياب الحداد ، وتقرع اجراس الكنائس حزنا ، وارسل مطرانين يمثلانـــه في مراسيم الجناز ٠ كما ارسل شموعا كبيرة لهـــذه المناسبة ٠ وبعد ان اجتمع ما يقارب مئتين من جميع الملل بما فيهم الارمن واليونان ، وكـــان للسريان في مراغـة اربعة كهنة فقط ، نهضوا للصلاة مـن الصباح وحتى العصـر ، ثم واروا جسده التراب تحت مذبح الكنيسة ٠ ونقل جثمانه الطاهر بعدئذ الـى دير مار متى بجوار الموصل بهمـة اخيه برصوم الصفـــا ٠

(٢٩) تضمين العدد ٦ من الاصحاح ٤٠ من سفر نبـوة اشعيا

مؤلفـــاتـــه

وضـــع ابـن العبري بالسريانية والعربية ستة وثلاثين كتابا يعد بعضهـا من امهـــات المراجع ، تناول فيها شتى العلوم المعروفة في عصره وهي :

اولا : المؤلفـــات الدينية

١ ـ تفسير الكتاب المقدس : يعـــد كتابه ܟܢܫ ܓܢܙܐ كنز الاسرار موسوعة كتابية تفسيرية مهمة في الكنيسة السريانية الارثوذكسية . تناول فيـــه تفسير اسفار الكتاب المقدس بعهديه العتيق والجديد ما عدا سفر الرؤيا . وذلك بحسب الترجمة السريانية المسماة بالبسيطة ܦܫܝܛܐ فشيطا) مقارنا اياهـــا بالترجمة السبعينية وبغيرها من النصوص والترجمات ، منوها بفضل السبعينية على البسيطة(٣٠) ، ونهجـــه بالتفسير لغـــوي ولفظي ورمزي، ومصادره كتابات الاباء السريـــان افرام والسروجي فيلكسينوس وســـويريـوس وموسى بـن كيفا ودينيسيوس ابـن الصليبي ودانيال الصلحي ويعقوب الرهاوي وجرجس اسقف العرب ويشوعداد المرزوي النسطوري وبعض الاباء اليونان .

اهم مخطوطاته ، نسخة خزانة فلورنسة ، انجزت عام ١٢٧٥م أو ١٢٧٨ م في حياة المؤلف (٣١) وبرلـــين عام ١٢٩٨م واكسفرد سنة ١٤٩٨م وبرمنكهام ـ منغانـــة ـ في القرن الخامس عشر على ما يظـن والخزانة البطريركية السريانية الارثوذكسية في دمشق سنة ١٥٦٧ م ودير الزعفران ١٥٦٩ .

وقد نشرت اجزاء منه بالطبع ونقلت الـــى لغات اوربيـة ، من ذلـك مـــا نشره المستشرقان مارتين سبرنكنلن ووليم كريهام فيشيكاغو عام ١٩٣١ مترجمين الى الانكليزيـة من سفـر التكويـن حتى سفر صموئيل الثاني ومصورين النصـــ السرياني في طبعة انيقة وقعت بـ ٣٩٣ صفحـــة من الحجم الكبير .

---

(٣٠) اللؤلؤ المنثور ص ٤١٤

(٣١) فيـــه ص ٤١٥

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ ـ اللاهـــوت النظري :

١ ـ كتاب ܡܢܪܬܐ ܕܩܕܫܐ اي منارة الاقداس وهو موسوعة لاهوتية ضخمة ، ويعـــد اهم كتاب وضع في هـــذا الميدان في الكنيســـة السـريانيـة الارثوذكسية ، قسمه الى اثني عشر ركنا او بابا وتناول فيه الموضوعات اللاهوتية النظرية وهي العلم ، ووجود الله ، وخلق العالم ، والتثليث والتوحيد وسر التجسد، والملائكة والشياطين ، والنفس البشرية ، ورئاسة الكهنوت ، والحرية وقيـــامة الاموات والدينونة العامة والفردوس وغيرها ٠

مخطوطات هـــذا الكتاب كثيرة اهمها في مكتبات فلورنسة انجزت ســـنة ١٣٨٨م والفاتيكان في القرن الرابع عشر وبرلين سنة ١٤٠٣ م وكمبرج في القـرن الخامس عشر والقدس سنة ١٥٩٠ م ودير الزعفران وهي سريانية وكرشونية(٣٢) سنة ١٦٧٤م والشرفة في القرن السابـــع عشر ٠

نقل المستشرق جان باكوس سنة ١٩٣٠م الركنين الاولين منه الى الفرنسية ونشر ذلك مع النص السريانـــي ٠

وكان الشماس سرجيس ابـن الاسقف يوحنا بـن غرير الدمشقي قد نقلـه الى العربية سنة ١٦٦١ م ونسخه كثيرة منها مخطوطتا الشرفة سنة ١٦٩١م و١٧٦١م ومخطوطتي سهنة ١٨٥٨ م ٠

٢ ـ كتاب (ܫܘܪܝܐ) اي الاشعة وهو ملخص كتاب منارة الاقداس قسمه على عشرة ابواب وتناول فيه اهم المواضيع اللاهوتية باختصار ٠

من مخطوطاته المهمة ، الفاتيكانية انجزت عام ١٣٣٠م وباريس عام ١٣٥٣ م ولندن عام ١٣٦٤م والزعفرانية عام ١٥٠٩ م ٠

نقل الى العربية ومن نسخـــة مخطوطة ديـر الشرفة انجـــزت في اواسط

(٣٢) اي ان اللغة عربية مكتوبة بحروف سريانية

القـرن الثامـن عشر ٠

٣ ـ ولابن العبري في اللاهوت ايضا رسالة سريانية تدعى « دستور الايمان» تحتوي على صورة الايمان الارثوذكسي ٠ ورسالة منظومة جوابا لماردنخا الجاثليق النسطوري يعرض فيها بالبراهين العقلية والنقلية صحةالعقيدة الارثوذكسية(٣٣) ومـع ان ابـن العبري ادرك اللغة السريانية وهي في اوج عزها وجعل منها آلـة طبعة لابحاثه العلمية ولا سيما اللاهوتية فقد استعمل الكلمات اليونانية الى جانب السريانية في ابحاثه اللاهوتية للتدقيق بالتعبير والتحديدات اللاهوتية ٠

٣ ـ الشرع الكنسي والمـدني

لابـن العبري في الشرع الكنسي والمدني كتاب اسماه ܗܕܝܬܟ اي الهدايات ، كتبه بالسريانية وطواه على اربعين بابا و ١٤٧ فصلا في القوانين الدينية الكنيسة وما يتعلق بالكنيسة واتباعها من الرسوم والنظم المدنية.٠ ومصـادره فيـه ، الكتاب المقدس والقوانين الرسولية والمجامع المقدسة الاقليمية والمسكونية وبعض قوانين وضعها بطاركة انطاكية والاسكندرية واباء الكنيسة ومراسيـم ملوك الروم وفتاوى خاصة ٠ واضحى هذا الكتاب الجامـع الشامـل دستورا للكنيسة السريانية الارثوذكسية (٣٤) ٠

اقـدم مخطوطاته نسخة نفيسة جـدا انجزت سنة ١٢٩٠ م وهي الان في خزانة الخوري متى كوناط في بلدة بامباكودا ـ كيرلا ـ الهند (٣٥) ونسخة فـي مكتبة مديشيس (٣٦) بروما خطت سنة ١٣٥٧م ومخطوطة خزانة دير مار مرقس بالقدس انجزت سنة ١٣٩١م ونسخة دير مار اوكـين سنة ١٣٥٤م ومطرانيـة

(٣٣) الاب لويس شيخو ، المشرق البيروتية ١ (١٨٩٨) ص٤١٥ و ٤٥١
(٣٤) اللؤلؤ المنثـور ص ٤٢٢
(٣٥) لسان المشرق الموصلية ١ (١٩٤٩) ع ١٠ ص ٤٧ـ٤٨
(٣٦) تاريـخ سورية للدبس مج ٦ ص٣٥٢

السريان الارثوذكس في الموصـــل عام ١٤٨٣م وباريس سنة ١٤٨٨م واكسفـرد سنة ١٤٩٨م والشرفة في القرن الخامس عشر ٠

نقل الى العربية في اواخر القرن السادس عشر ونسخه عديدة ومنتشرة منها نسخة الشرفـــة الكرشونية التي جاء فيها ما ياتي : نقلها الى العربية الخـوري يوحنا بـن المعلم عبود بـن الجرير الزربابي في كنيسة مار بهنام بدمشق ، كتبـه الشماس يوحنا بـن جبرائيل خادم الكنيسة المذكورة ٠ وكان الفراغ من الكتابة في الثامن من شباط يوم عيد مار سويريوس سنة ١٩٦٤ي = ١٦٣٥ م ٠

نشره الاب بولس بيجـــان سنة ١٨٩٥م معتمدا عـــلى نسخـــة باريـس المخطوطـــة عام ١٤٨٨ م وكان قبلـــه السمعاني قد نقله الـــى اللاتينية نقـلا وقـــع فيه تحريف وتشويه (٣٧) ٠

٤ ـ اللاهـــــوت الادبي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أ ـ كتاب [illegible] الايشيقون وضعه ابن العبري بلغـة سريانية بليغة وهو في علم الاخلاق لحسن السلوك في الدين والدنيا ٠ اي تنظيـــم الحياة الادبية والروحية للانسان ٠ وقد اكثر فيه من اخبار النساك ، وسرد حكما لهـم ٠ وهو مثل كتاب «احياء علوم الدين» للغزالي ٠ فالكتابان يبحثان في حياة الانســان التي هي ليست صلاة وصيام ومحبة وصدقة وحسب بل هـي ايضـا تجارة وزواج وغذاء الجسد وتعليم الاطفال والخ ٠٠٠

يقسم كتاب الايشيقون الى اربع مقالات كبرى ، تحوي كل منها ابوابا وفصولا شتى ٠ المقالة الاولى في ترويض الجسد وتنظيم حركات تمرينه ، المقالة الثانيـــة تقويم الجسد وترتيب اعماله المقالة الثالثة تنقية النفس من الميول الشاذة والمقالة الرابعة تجميل النفس بانواع الفضـائل ٠ تحتوي المقالة الاولى والثانية علـى ٢٠٤ فصول والمقالة الثالثة والرابعة على ٢٣٧ فصـلا ٠

(٣٧) اللؤلؤ المنثور ص ٤٢٣

انجز ابن العبري كتابه هذا في مراغة في ١٥ تموز سنة ١٢٧٩م اي قبل وفاته بسـبع سـنوات ٠

اهم النسخ واقدمها هي مخطوطة خزانة البطريركية الكلدانية في بغـداد ، انجزت سنة ١٢٩٢م اي بعد وفاته بست سنوات ٠ ومخطوطتي اكسفرد انجزتـا سنة ١٣٢٣م و ١٣٣٢م وثلاث مخطوطات في المتحف البريطاني خطت الاولى سنة ١٣٣٥م في اورشليم ، اما الثانية فكتبت سنة ١٤٠٩م وكانت قبلا ضمن مخطوطات دير السريان في مصر ٠ وفي دار البطريركية السريانية الارثوذكسية في دمشـق مخطوطة جيدة انجزت سنة ١٥٧٦م ٠

عربه الراهب داود الحمصي ومنه نسخة في اكسفرد (٣٨)٠ وفي دير الشرفـة مخطوطة عربيـة بعنوان (كتاب الاداب وذوي الفهـم والالباب الذي هـو كتاب الايشيقون) (٣٩) انجزت سنة ١٦٩٩م يقول فيها الاب شيخو لعـل ابن الحطاب نقلها الى العربية في ايام ابن العبري ، فان في مكتبة الفاتيكان نسخة معربة بقلم ابن الحطاب ، كما ان في الفاتيكان نسخة اخرى نقلها الى العربية القس يوحنا ابن جرير انجزت سنة ١٦٤٥(٤٠)٠

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

اما افضل تعريب له فهو بقلم المرحوم الملفان مار غريغوريوس بولـس بهنام مطران بغداد والبصرة سابقا على السريان الارثوذكس وقد نشره سنة ١٩٦٦م في مطبعة الشباب في القامشلي ـ سورية ٠

ونشر الاب بيجان النص السرياني سنة ١٨٩٨م ٠

بـ كتاب ܡܓܕܠܐ اي الحمامة ٠ وهو مختصر في ترويض النساك ومختص بالرهبان الذين ليس لديهم مرشد روحاني ، الفه بعد كتابة (الايشيقون)

---

(٣٨) فيه ص ٤٢٣

(٣٩) الطرفة في مخطوطات دير الشرفة ـ للخوري اسحق ارملة ـ مطبعة جونيـة ١٩٣٦ ص ٤٠٩ ٠

(٤٠) مجلة «المشرق» البيروتية ١ (١٨٩٨) ص ٤٥٢

بانشاء سرياني جزل ، واسماه (الحمامة) رمزا الى الروح القدس الذي هبط على هامة السيد المسيح اثناء العماد بشبه حمامة • وقد قسمه الى اربعة ابواب ، الباب الاول تعليم الفعل الجسدي الذي يتم في دار المبتدئين ، الباب الثاني ، كيفية ممارسة السيرة الروحية في الصومعة ، الباب الثالث ، شرح الاستقرار الروحي للحمامة المعزية ، الباب الرابع قصة تدرج المؤلف بالعلوم ، ثم اقوال الهامية ، وعدد هذه الاقوال مئة وقد اعطت كتاب الحمامة اهمية فاقت اهمية (الايشيقون) ووضعت ابن العبري في الرعيل الاول بين النساك(٤١) •

ولكتاب الحمامة مخطوطات قديمة ، اقدمها مخطوطة المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو • انجزت سنة ١٢٩٠م اي بعد انتقال ابن العبري الى جوار ربه باربع سنوات فقط • وقد حققناها على مخطوطة جامعة اكسفرد التي انجزت سنة ١٤٩٩م وغيرها من المخطوطات وعربناها ونشرنا النص والترجمة سنة ١٩٧٤م ضمن مطبوعات مجمع اللغة السريانية في بغداد مع مقدمة مستفيضة في النسك السرياني المسيحي وعلاقته بالتصوف العربي الاسلامي لخصناها عن مقدمة المستشرق الهولندي ونسنك Wensinch - A - J الذي نقل الكتاب الى الانكليزية ونشره سنة ١٩٠٩م •

وقد نشر الاب بولس بيجان نص كتاب (الحمامة) بالسريانية سنة ١٨٩٨م في باريس والاب جبرائيل قرداصي سنة ١٨٩٨م ايضا في روما والاب يوحنا دولباني (مطران ماردين بعدئذ) سنة ١٩١٦ م •

ونقل الى العربية حوالي سنة ١٢٩٩ م وسمي كتاب الورقاء في علم الارتقاء(٤٢) وله نسخ عديدة ثلاث منها في الشرفة الاولى ترتقي الى القرن السابع عشر وهي كرشونية • ونشر الاب يوسف حبيقة ، ترجمة عربية لهذا الكتاب في مجلة (المشرق ٥٠ [بيروت ١٩٥٦] ص ١٧ـ٦٦) •

---

(٤١) الحمامة تحقيق كاتب هذه السطور وتعريبه بغداد ١٩٧٤ المقدمة ص ١٠ـ١٤

(٤٢) اللؤلؤ المنثور ص ٤٢٤

جـ ـ ملخص تفسير الكتاب المنحول ابرثاوس ، وهـو صغير الحجم ينطـوي على ٢٢ فصلا ويقع في١٩٠صفحة ولا علاقة له بما احتواه من اراء (بانثيئستية)(٤٣) اقدم مخطوطة له في لندن انجزت حوالي سنة ١٣٣٠ م (٤٤) ٠

٥ ـ الكتـــب الطقســـية :

هذب ابن العبري واوجز سنة ١٢٨٢ م ليترجية (٤٥) ماريعقوب الرسول الملقب باخي الرب ، نسخها لاتحصى فهي مستعملة في الكنائس السريانية الارثوذكسية في في العالم ، ترجمت الى العبرية والانكليزية والمليالم (لغة جنوب الهنـد) وطبعت ٠ والاسبانية والبرتغالية ولم تطبع بعد بهاتين اللغتين ٠ وهذه الليترجية تعـرف بلترجية مار يعقوب الرسول الصغرى ٠

ووضع ابن العبري ليترجية مطلعها «رحيم انت ايها الرب ورحمتك منشورة على العالمين» ومنها نسخة في باريس تاريخها ١٤٥٤م نقلها الى اللاتينية رينودوت ونشرها والنص السرياني مع ليترجية مار يعقوب الرسول التـي اوجزها ابـن العبري ، وذلك في مجموع ليترجيات المشرق(٤٦) ٠

ولابن العبري تعليق على طقس تبريك الماء في عيد الدنح(٤٧) كتبـه سـنة

---

(٤٣) البانثيئستية هي الاعتقاد بان كل طبيعة هي مساوية في الجوهـر للذات الالهية والجوهر الالهي انظر اللؤلؤ المنثور ص ٤٢٨ ٠

(٤٤) عـن اللؤلؤ المنثور ص ٤٢٨

(٤٥) كلمة يونانية تعني الخدمة الجمهورية وهي مجموع صلوات القداس ويقال لها ايضا انافورا وهي ايضا لفظ يوناني معناه رفع القربان (اللؤلـؤ المنثور ص ٥٠٢) ٠

(46) Renaudotu, Liturgiarum Orient Collectio , 11 , 456

(٤٧) اللؤلؤ المنثور ص ٤٢٩ عن معذعذ ان في دير الزعفران والخزانة البطريركية في دمشق ٠

١٢٨٣م • كما اوجز كتاب رتبة المعمودية لمار سويريوس الانطاكي(٤٨) ونسب بعضهم هذا الموجز الى يعقوب الرهاوي •

٦ ـ الخطابـــــة :

كان ابن العبري واعظا ناجحا وخطيبا مصقعا ذكر له موقفة الخطابي يـــوم رسامته مفريانا • ولم يصل الى يدنا من خطبه سوى النزر اليسير من ذلك خطبة عربية بليغة لعيد السعانين حققها ونشرها البطريرك افرام الاول برصـــوم(٤٩) وخطبة في التوبة وردت في بعض كتـب باريس بالكرشونيـة تقرأ كمرثاة عـلى الجنـــــازة(٥٠) •

ثانيا : التاريخ المدني والديني :

١ ـ تاريـــخ الزمان (السرياني) : كتاب ضخم كتبه بالسريانية واســـماه ܟܬܒ ܙܒܢܐ اي تاريخ الزمان ، بدأ فيه من خلق العالم الى ايامه وروى اهم حوادث العالم دولا وملوكا ، وعلماء ورؤساء الى سنة ١٢٨٥م وضمن ذلك ٣٣٢ فصلا • ومصادره في ذلك تاريخا يعقوب الرهاوي وميخائيل الكبير وتواريخ سريانية وعربية وغيرها • واقدم مخطوطاته مخطوطة مكتبة الفاتيكان كتبت قبيل ســـنة ١٣٥٧م واكسفرد وانجزت سنة ١٤٩٨م والقدس اواخر القرن الخامس عشر وهذه المخطوطات تضم ايضا التاريخ الديني بجزئيه • والكتاب في جملته مهم ومفيد جدا وهو يتناول بوجه خاص منطقة الشرق وما يتعلق بها من حوادث في العالم المعروف يومذاك • وتتجلى اهمية الكتاب بالتفاصيل التي اوردها ابن العبري للحوادث التي عاصرها او التي جرت امامه وبالكلام على الاشخاص الذين عرفهم او سمع عنهم •

---

(٤٨) شيخو ـ المشرق (١٨٩٨) ص ٤٥٣

(٤٩) المجلة البطريركية السريانية ـ القدس ٢ (١٩٣٥) ص ٢٢٨ـ٢٣٥

(٥٠) المشرق البيروتية ١ (١٨٩٨) ص ٦٠٦

٢ ـ تاريخ مختصر الدول (العربي) :

وقد طلب علماء المسلمين العرب في مراغة الى ابن العبري ان ينقل كتابه (تاريخ الزمان) من السريانية الى لغة الضاد فلبى طلبهم واتم تعريبه الا بعض صفحات ، وذلك في نحو شهر من الزمان ، افرغه في لغة بليغة وسماه (تاريخ مختصر الدول) وهو وان توخي فيه الايجاز الا انه اضاف اليه امورا كثيرة لاتوجد في المطول (السرياني) ولاسيما ما يتصل بتحرير العرب اراضيهم من الفرس والرومان في ايام الفتوحات الاسلامية ، وتاريخ دولتي الاسلام والمغول ، وتزاجم العلماء والاطباء ، مستقيا الحقائق التاريخية من ينابيع المؤرخين العرب كالطبري وابن الاثير وغيرهما ٠

نشر برنس وكيرش التاريخ السرياني بجزئين في ليبسيك سنة ١٧٨٩م وجدد طبعه الاب بيجان اللعازري سنة ١٨٩٠م ونشر واليس بج مع ترجمة الانكليزية في مجلدين في اكسفرد سنة ١٩٣٢ ونقله القس اسحق ارملة الى العربية ونشره تتابعا في مجلة المشرق البيروتية في المجلدات ٤٣ـ٥٠ للسنوات ١٩٤٩ـ١٩٥٦ ٠

اما تاريخ مختصر الدول (العربي) فمخطوطاته كثيرة في فلورنسا وباريس ولندن واكسفرد ٠ طبع العلامة ادوار پوكوك موجزا عنها ، اسماه « مختصر تاريخ العرب » لابن العبري ، في مدينة اكسفرد سنة ١٦٥٠ م ثم طبع الكتاب بالعربية واللاتينية سنة ١٦٦٣ م بمراجعة پوكوك نفسه ، وقد ترجمه بور الى الالمانية وطبع سنة ١٧٨٣م ٠ ثم طبع الاب انطون صالحاني اليسوعي النسخة العربية في بيروت سنة ١٨٩٠م واعيد طبعه سنة ١٩٥٨م ٠ وهذه الطبعة الاخيرة ، نشرت بعد ذلك بالاوفست في بيروت ٠

٢ ـ التاريخ الكنسي بالسريانية وهو مجلدان يتضمن المجلد الاول تاريخ بطاركة انطاكية ، فبعد ان يتناول تاريخ الاحبار في العهد القديم بدءا من هرون حتى حنان في عصر السيد المسيح يبدا باخبار العهد الجديد بدءا من الرسول بطرس ويستطرد مفصلا تاريخ بطاركة انطاكية حتى فيلكسينوس نمرود المتوفى

سنة ١٢٨٥ م ٠

اما المجلد الثاني فهو تاريخ جثالقة المشرق ، وابتدأ به بترجمة الرسول توما وختمه بترجمة نفسه التي اكملها بعد وفاته اخوه برصوم الصفا ٠

نسخ المجلدين ضمن النسخ التي ذكرناها انفا وتضم التاريخ المدني ايضا ونضيف الى ذلك نسختنا التي انجزت سنة ١٨٥٨ م وتضم التاريخ البيعي بجزئيه فقط (٥١) ٠

نشره المستشرقان ابيلوس ولامي بجزئين في لوفان سنة ١٨٧٢ ـ ١٨٧٧ ولخصه الخوري اسحق ارملة وعربه ونشره تباعا في مجلة المشرق البيروتية لعامي ١٩٢٣ و ١٩٢٤ ٠

ثالثا : قواعد اللغة السريانية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لابن العبري في هذا الميدان كتابان ، الاول وهو كتاب ܟܬܒ ܫܘܠܡܐ اي اللمع والثاني كتاب ܟܬܒ ܡܕܟܠ اي المدخل ٠

ويعد ابن العبري امام النحويين السريان وهو بكتابه (اللمع) يحذو حذو جارالله الزمخشري (ت ١١٤٤م) بكتابه (المفصل) ٠ فقسم ابن العبري مثله كتابه الى اربعة اقسام بحث فيها في الاسماء والافعال والحروف والمشترك ٠ واخذ ايضا عن العرب اصطلاحاتهم بهذا الباب ٠(٥٢)

اما كتاب (المدخل) فهو ملخص كتاب (اللمع) نظمه ابن العبري

---

(٥١) اهدانا هذه النسخة الاستاذ متى المقدسي جرجيس فندقلي ٠

(٥٢) اللؤلؤ المنثور ص ٤٢٥ وشيخو ـ المشرق البيروتية ١ (١٨٩٨) ص ٥٠٧ عن تاريخ اللغة السريانية للدكتور ماركسي

Hist, drtiS gram . op Syror p. 229 - 275

على البحر الافرامي واتمه في مدة اسبـوعـين اثنين ، فهو قصيـدة لغويـة مطولة تنيف على ستمائة بيت • وعاق عليه شروحا وتفاسير واتبعه بمقالـة في الالفاظ المهمة • وقـد نسج به على منوال ابي عبدالله محمد ابـن مالك (نحـو ١٢٠٣ ـ ١٢٧٤) بكتابه (الالفية) •

من اهـم مخطوطات (اللمع) نسخة دير الزعفران انجزت سـنة ١٢٩٨ م وفلورنسة سنة ١٣٩٢ ولندن سنة ١٣٣٢ والقدس وبوسطـن واكسفرد والخزانة البطريركية بدمشق ، والشرفة • نشره المستشرق الفرنسي مارتان في باريس سنة ١٨٧٣م على مطبعة حجرية ونشره اكل موبرغ في ليبسيك مع ترجمته الالمـانيـة سنة ١٩٠٧ـ١٩١٣ م •

اما مخطوطات (اللمع) فاقدمها نسخة في جامعة شيكاغو انجزت سنة ١٢٩٠م وفلورنسـة سنـة ١٣٦٠م والخزانة البطريركيـة في دمشـق سنـة ١٣٧١م وفي الشرفـة خمس نسخ اقدمهـا انجزت سنة ١٥٨١م والقدس سنة ١٥٨٦ م وبرمنكهام سنة ١٥٨٥م ولنـدن وديـر الزعفران وباريس • نشره في باريس سنة ١٨٧٣ م المستشرق مارتان على مطبعـة حجرية •

وقـد ابتدأ ابـن العبري بتاليف كتاب ثالث في قواعـد اللغة السريانية وسماه [illegible] اي (شرارة) ليكون خلاصة لهـذا العلم ولكـن المـوت عاجله قبل اتمامه وهذا الكتاب مفقود •

رابعـا : الفلسفـة

١ ـ زبدة الحكمة [illegible] وضعه ابن العبري بالسريانيـة وهو من ابدع ما صنف ، بل اروع ما كتب في الفلسفة باللغة السريانية ، قوامه جزآن في ٩٥١ صفحـة تضمـن الجزء الاول العلم المنطقي الفلسفي : ـ ايساغـوجـي وكتاب المقـولات العشر والعبـارة وتحليـل القياس والبـرهـان والجـدل والمغالطة والخطابة والشعر وهو مجمل نظام الفلسفة الارسطاطالية • والجـزء الثاني تضمن العلم الثاني من الطبيعيات وجعله قسمين تناول في الاول : الامـور

العامة لجميع الطبيعيات كالمادة والصورة والحركة والـــخ ٠ وكذلك الســـماء والعـــالـــم والكـــون والفساد للنشوء والفناء ثم المعادن والينابيع والعناصر الاربعة والشهب والغيوم والصواعق والرياح والزلازل والبحار والجبال ٠وشرح موضوع النبات والكائنات النامية وموضوع الحيوان وطبائعه وحال الكائنات الحيوانيـة وكذلك النفس معرفتها والقوى والمدركة والمحركة التي في الحيوان وخاصة فـــي الانسان ٠ وتناول في الجزء الثاني الفلسفة والعلم الالهي اي ما وراء الطبيعـــة٠ وعلم الاخلاق وتدبير الذات والمنزل ، وسياسة المدنوطبائع الامم(٥٣) ٠

للجزء الاول نسختان في فلورنسة اقدمهما مؤرخة بسنة ١٣٤٠ م واكسفرد سنة ١٤٩٨ م وللجزء الثاني نسخة البطريركية السريانية الارثوذكسية بدمشـق خطت سنة ١٢٨٥ـ١٢٨٦ م في حياة مؤلفـــه ابـن العبـري ، ونسخة الخزانـة الكلدانية بامـــد سنة ١٣٨٩ م(٥٤) ٠

وقد اختصر ابـن العبري هـذا الكتاب بوضع كتابـــه الثاني الذي اسمـاه ܟܬܒܐ ܕܡܣܚܪܬܐ ܕܡܣܚܪܬܐ اي (تجارة الفوائد) فجاء مجلدا وسطا في المنطـــق والفلسفة وكتبه قبل سنة ١٢٧٦ م ٠ اهـــم مخطوطاته نسخة كمبـرج التـــي انجزت سنة ١٢٧٦م وفلورنسة : القرن الرابع عشر والقدس سنة ١٥٧٤ م ٠

ووضع كتيبا اسماه ܟܬܒܐ ܕܣܟܠܐ (البؤبؤ او الاحداق) في المنطق والفلسفة ينطوي على سبعة ابواب باربعين صفحة صنفه بعد سنة ١٢٧٥م ، اهم مخطوطاته احدى ثلاث نسخ في جامعة روكفلر بشيكاغو انجزت سنة ١٢٩٠م ، ولندن وكمبرج سنة ١٥٧٩م والخزانة البطريركية بدمشق والشرفة ٠

وكتاب اخر صغير اسماه ܟܬܒܐ ܕܡܐܡܪ ܚܟܡܬܐ اي (حديث الحكمة) وينطوي على اربعة ابواب لكل منها فصول ويتناول ١ ـ علم المنطق ٢ ـ الطبيعيات ٣ ـ ماوراء الطبيعة ٤ ـ النفس والثواب والعقاب والخ ٠٠٠ الفه بعد سنة ١٢٧٥م واقـــدم

(٥٣) لخصنا وصف الكتاب عن اللؤلؤ المنثور ص ٤١٧ـ٤١٨

(٥٤) عنـــه ص ٤١٩

مخطوطاته نسخة شيكاغو التي خطت سنة ١٢٩٩م ولندن حوالي سـنة ١٣٣٠م نشر البطريرك افرام الاول برصوم سنة ١٩٤٠ م ترجمته العربية الفصيحة اعتمادا على نسخة انجزت عام ١٦٠٨م اصابها في ماردين٠ونقله هرمن جانس الى الفرنسية سنة ١٩٣٧م ونشره مع النص السرياني ٠

اما بالعربية فلابن العبري رسالتان في النفس مختصره ومطـوله ، يستعـرض فيها اراء العديد من الفلاسفة القدامى ثم ياخذ براي ارسطو في تحديد النفس كمـا فعل الشيخ الرئيس ابن سينا الفيلسوف العربي(٥٥) وابن العبري في ابحاثـه الفلسفية يعتمد على ابن سينا ولا سيما فيما يخص النفس ٠

اما الرسالة المختصرة فهي ١٢ فصلا و ٢٦ صفحة نشرها شيخو في بيروت سنة ١٨٩٨ وقال غراف GRAF ان ابن العبري اقتدى فيها برسالة سريانية بالعنوان نفسه للكاتب السرياني موسى ابن كيفا الذي نقـل بدوره عـن كتاب يونانـي «في النفس البشرية» لطيطيانس نسب خطأ لفريفوريوس العجائبي ٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والرسالة الثانية المطولة في علم النفس البشرية تنطوي على ٢٦ فصلا و ٧٤ صفحة ، نشرها القس بولس سباط في مصر سنة ١٩٢٨ ونشرها البطريرك افرام الاول برصوم سنة ١٩٣٨م معتمدا على نسخة من القرن الثالث عشـر حظي بهـا في هريست نيويورك ـ اميركا وعلق عليها مستدركا اغلاط الناشر الاول(٥٦) ٠

ونقل ابـن العبري من العربية الـى السريانية كتاب الاشارات والتنبيهات للفيلسوف العربي الشيخ الرئيس ابن سينا وسماه بـ [illegible] وهو كتاب ضخم يقع في ٢١٨ صفحة من الحجم الكبير يتناول المنطـق والفلسـفة وماوراء الطبيعة انجز ابن العبري سرينته قبل سنة ١٢٧٨م بلغة بليغة ـ قـال

---

(٥٥) المشرق الموصلية ١ (١٩٤٧) ص ٨١٩ـ٨٢٥ عن النجاة لابن سينا مطبعـة السعادة القاهرة ١٣٣١ هـ ص ٢٥٨

(٥٦) اللؤلؤ المنثور ص ٤٢٠

البطريرك افرام الاول برصوم(٥٧) : «وهذه الترجمة الحرية بالذكر لم ينوه بها المعاصرون من كتاب الفلسفة العربية ». اهم مخطوطاته نسخة فلورنسة انجزت عام ١٢٧٨م وملبار عام ١٥٤٧م وباريس عام ١٦٣٣م والفاتيكان عام ١٦٥٤م .

ونقل ابن العبري ايضا من لغة الضاد الى السريانية كتاب (زبدة الاسرار) لاثير الدين الابهري (ت ١٢٦٤م) وهو مفقود .

وفي ديوانه ايضا عدة قصائد فلسفية .

خامسا : علم الهيئة والرياضيات :

لابن العبري في علم الهيئة اي الفلك ، ثلاثة كتب هي :ـ

١ ـ تفسير كتاب (المجسطي) لبطلميوس القلوذي وهو بحث في علم النجوم وحركات الافلاك . نهض ابن العبري بشرحه شرحا وافيا وعلق عليه وانجزه في مراغة سنة ١٢٧٣م وهو مفقود .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ ـ وله كتاب (الزيج الكبير) ܙܝܓ ܪܒܐ اي معرفة حركات الكواكب لاستخلاص التقويم السنوي وتعيين الاعياد المتنقلة ، ويقع باربعين صفحة ومخطوطته اليتيمة في الفاتيكان(٥٨) .

٣ ـ كتاب ܣܠܩܐ ܕܥܩܠܐ اي الصعود العقلي . وضعه بالسريانية سنة ١٢٧٩م . اما المصطلحات العلمية فكتبها بالسريانية واليونانية زيادة بالفائدة وفصل فيه العلوم الفلكية . والكتاب جزءان يحتوي اولهما على ثمانية فصول ويستعرض اقوال القدامي عن هيئة السماء والارض ، ومطالعة ابن العبري على هذه الاقوال ثم كلامه على الشمس والقمر والسيارات وافلاكها الخاصة وما يختص بالنجوم الثوابت . اما القسم الثاني ففيه سبعة فصول ويبحث في هيئة الارض

---

(٥٧) فيه

(٥٨) مجلة المشرق البيروتية ١ (١٨٩٨) ص ٥٠٨

والاجرام العلوية والجزائر والبحار والانهـار والظل واقسام الزمن • ولزيـادة الفائدة فقد رسم المؤلف اشكالا هندسية ورسوما حيثما اقتضت الحاجة • يقول ابن العبري في مقدمة الكتاب انه يبحث في : «اشكال الاجرام والحركات الجويـة وابعاد الاجرام السماوية عن بعضها وحجومها بصورة مختصرة ، وترك البحـوث الهندسية والفلكية الكبرى الـى الموسوعة الكبرى المسماة (المجسطي) وسـميته الصعود العقلي لان به يتصاعد العقل الى السماء العالية تصاعده فوق عجلات ناطقة وقد قسمته الى قسمين الاول يبحث شكل السماء والثاني شكل الارض» •

يقول شيخو «وفي هذا التاليف اشارات الى بعض الاكتشافات الحديثة اخذنا العجب لما اطلعنا عليها» (٥٩) •

نشر منه المستشرق (غوتل) فصلا في رسم الارض ونقله الى الانكليزية سـنة ١٨٩٠ ، كما نشره القس فرنسوا نو ونقله الى الفرنسية سنة ١٨٩٥ معتمدا على اربع مخطوطات في باريس واكسفرد وكمبرج اقدمها انجزت في القرن الرابع عشر (٦٠) عرب الاب (المطران بعدئذ) بولس بهنام فصولا يسيرة منه ونشرها (٦١) • ولابن العبـري في الرياضيات تفسير كتاب اقليدس في المساحـة اتمه سـنة ١٢٧٢م وهـو مفقود •

سـادسـا : الشـعر

يعد ابن العبري في الرعيل الاول بين شعراء السريانية ، فشعره سلس ، دسم، معبر ، بليغ ، استعمل فيه القافية (٦٢) وتفنن بذلك كثيرا ، وقد اجاد في كـل

---

(٥٩) «المشرق» البيروتية ١ (١٨٩٨) ص ٥٠٨

(٦٠) اللؤلؤ المنثور ص ٤٢٦

(٦١) مجلة «لسان المشرق» الموصلية ٢ (١٩٤٩ـ١٩٥٠) ص ٢١ـ٢٤ و ٤٨ـ٥٠ و ١٠٣ـ١٠٤ و ٢٤٤ـ٢٤٧ •

(٦٢) نظم السريان قصائدهم دون التزام بقافية ، وكان الشعر لديهم سـليقة فجاءت قصائدهم سلسلة بديعة معنى ومبنى كقصائد مار افرام السرياني واسحق =

ابواب الشعر التي طرقها من مديح وهجاء ووصف ورثاء واخوانيات وزهد وحكمة وفلسفة . ونظم اكثر قصائده على البحر السروجي ، ولا يعاب الا باستعماله الالفاظ اليونانية بكثرة مع وجود ما يقابلها او يقاربها بالسريانية .

وقد سارت بقصائده الركاب ، وانتشرت كثيرا ، وحفظها السريان على ظهر قلب وانشدوها فيمناسبات الافراح والاتراح وتهافت الخطاطون على نسخها فوجد منها مخطوطات كثيرة اهمها مخطوطة فاتيكانية تضم ٣٠٨ مقاطيع واحدى مخطوطتي اكسفرد انجزت سنة ١٤٩٨م . ويحوي ديوان شعر ابن العبري ثلاثين قصيدة واكثر من مائة مقطوعة شعرية تتراوح بين البيتين والعشرة . نشر « لنجرك » معظم هذه الاشعار في « كنغسبرغ » سنة ١٨٢٦ـ١٨٣٨ م كما نشرها الاب اوغسطينوس شبابي الراهب الماروني في روما سنة ١٨٧٧م ونشر له « بج » سنة ١٨٩٧م مقتطفات شعرية . وطبع له القس يعقوب منا منتخبات شعرية في (المروج النزهية) . ونشر شابو وهارلز قصيدة شعرية له في ليدن سنة ١٨٩٦ م .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ونشر الاب (المطران بعدئذ) يوحنا دولباني سنة ١٩٢٩م ديوان ابن العبري الشعري في مطبعة مار مرقس بالقدس بطبعة انيقة متقنة . واجاد بتبويبه، وذيله بفهارس القصائد وبدء ابياتها وختامها . وبجدول بمعاني الالفاظ السريانية والا عجمية الصعبة الواردة فيه . وقد خلت هذه الطبعة وطبعة شبابي من قصيدتين افراميتين احداهما في الثالوث الاقدس ذكرت في مخطوطة اكسفرد ، والثانية في موضوع لاهوتي جدلي تضمنت الحجج الدامغة المعززة بشواهد من الكتاب المقدس وتعاليم الاباء وهي رسالة نظمها ابن العبري حوالي سنة ١٢٨٢ م جوابا للجاثليق دنحا الاول النسطوري كما مر بنا انفا .

= الامدي وبالاي ويعقوب السروجي والقواقين ويعقوب الرهاوي وغيرهم . وفي القرن التاسع للميلاد بداوا باستعمال القافية مقلدين بذلك العرب . ولعل انطون التكريتي الفصيح احد مبتكريها . واستعمال القافية افقد الشعر سلاسته فبدت على اغلبه ظاهرة التكلف .

ولابن العبري في ميدان الشعر ايضا كتاب (المدخل) الذي ذكرناه في كلامنا على قواعد اللغة ، وقصيدة تزيد على ستمائة بيت مرتبـة على احرف المعجم جمع فيها الالفاظ المتشابهة بالحروف في اللغة السريانية على طريقة الجناس اللفظي في علم البديع بالعربية ، والحق بها تفسيرا لتلك الالفاظ وضمها الى كتاب (المدخل) ٠

اما قصيدته المشهورة في (الحكمة الالهية) فقد نظمها علـى طريقة الصوفيين العرب فتغزل بها بالكمالات الالهية كعمر بن الفارض (ت ٦٣٢ هـ) مشبها اياهـا بفتاة جميلة المنظر سامية الخصال ، وهي في ١٦٠ بيتا طبعها جبرائيل الماروني ببارس سنة ١٦٢٦م والقس يوحنا نطين الراهب الماروني برومة سـنة ١٨٨٠م ونشر الاب جبرائيل قرداحي مقتطفات منها ٠ كما نشرها الاب بطرس سارة اللبناني في مجلة المشرق البيروتية ٥١ (١٩٥٧) ص (٧٠٧ـ٧٣٥) مع الترجمة العـربية ٠ وعرب بعضهم ابياتا منها شعرا ٠

وقد اجاد بتعريبها شعرا والتعليق عليها الملفان المطران بولس بهنام ودعاها بـ (الملحمة الحمراء) ونشرها بعدد ممتاز من مجلته لسان المشرق الموصلية٣(١٩٥٠) كما نشر النص السرياني والترجمة في كتاب عنونه بـ (ابن العبري الشاعر) مطبعة الشباب في القامشلي سنة ١٩٦٥ وضم الى ذلك ما كان قد عربه شعرا من قصائده وهي : الشمعة الذابلة والمروحة ٠

سـابعا : الطـب

درس ابن العبري الطب على ابيه وعلى امهر اطباء زمانه كما مر بنا ٠ ولـه فيه ثمانية كتب وهي :

١ ـ كتاب كبير الفه بالسريانية جمع فيه اراء الاطباء في المواد الطبية بغايـة التفصيل وهـو مفقـود ٠

٢ ـ كتاب الفه بالعربية بعنوان منافع اعضاء الجسد ܡܢܦܥ̈ܐ ܕܦܓܪܐ وهو مفقود ٠ ܘܗܘ ܡܦܩܘܕ ٠

٣ ـ كتاب شرح فيه فصول ابقراط بالعربية · وهو صغير نسخته اليتيمة في مكتبة بطريركية السريان الارثوذكس بدمشق انجزت سنة ١٦٤٠م ·

٤ ـ كتاب تفسير مسائل حنين ابن اسحق الطبيب (ت ٨٧٨م) بالسريانية وهو مفقود (٦٣) ·

٥ ـ كتاب تحرير مسائل حنين ابن اسحق الطبية بالعربية وهو صغير الحجم نسخته اليتيمة في البطريركية بدمشق ·

٦ ـ اختصر كتاب ديوسقوريدس الطبيب العينزربي اليوناني المشهور ونقله من العربية الى السريانية ودعاه بـ (كتاب انتخاب ديوسقوريدس) وهو في صور النباتات التي تصلح للمعالجة وتعريف خواصها ومنافعها وقوتها واختيارها واصلاحها واتقانها وهو مفقود ·

٧ ـ منتخب كتاب جامع المفردات اي الادوية بالعربية لابي جعفر احمد بن محمد بن خليد الغافقي من اعيان الاندلس (ت٥٦٠ هـ) الذي استقصى فيه ما ذكره ديوسقوريدس وجالينوس وغيرهما في ثلاثة مجلدات فاختصره ابن العبري وسهل بذلك الانتفاع به وعنونه بـ (منتخب الغافقي في الادوية المفردة) · اقدم مخطوطة له في دار الكتب بالقاهرة انجزت سنة ١٢٨٥م اي في عصر المؤلف وهي في ١٤٦ ورقة نشر الدكتوران ماكس مايرهوف وجورجي صبحي جزءين منه مع ترجمة الى الانكليزية سنة ١٩٣٢ـ١٩٣٧ · ومخطوطة ثانية في خزانة الكراندوك في مدينة غوثا بالمانية كتبت سنة ١٦٩٤م ·

٨ ـ كتاب القانون لابي علي ابن سينا الشيخ الرئيس ، نقل عنه ابن العبري من العربية الى السريانية اربعة كراريس وحالت المنية دون انجازه وهو مفقود ·

---

(٦٣) المجلة البطريركية القدسية ٧ (١٩٤٠) ص ١٤٩

ثامنا : منوعـــات

١ ـ كتيب الاحاديث المطربة ٠ وضعه بالسريانية وسماه ܫܒܚܐ ܕܫܒܚ قسمه على عشرين بابا ، ويقع باربعين صفحة ، وانتخب فيه فوائد من اناس ينتمون الى حضارات مختلفة من ذلك فلاسفة اليونان وحكماء الهند ، وملوك العـــرب ، ورهبان ونساك واطباء ، واسخياء وبخلاء وفكاهات المشعوذين والمضحكين وغـير ذلك ، اهم مخطوطاته احدى نسختي دير الشرفة انجزت على الاغلب في القـــرن الخامس عشر جلدت عام ١٧١٣م ٠ ونسخة مخرومـــة في استنبول انجزت عـــام ١٦٠٥م وباريس ١٦٧٠م ٠ نشره (بج) عام ١٨٩٧م ونشر له الاب لويس شـيخو ترجمة عربية قديمة في مجلته (المشـــرق) البيروتية ٢٠ (١٩٢٢) ص ٧٠٩ـ٧١٧ و ٧٦٧ـ٧٧٩ ٠

٢ ـ كتيب في تفسير الاحلام الفه في صباه وبناه على مراقبة الكواكب ورصد البروج ككتاب ابن سيرين (ت ١١٠ هـ) عند العرب ٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فبعد ان استعرضنا حياة العلامة ابن العبري العلمية والعملية لايسعنا الا ان نردد مع البطريرك دنحا «طوبى لشعب اصاب كمثل هذا» ٠

16— J.Bakos Psychologie de G.A. dit B.H. d'apres la huitieme base de l'ouvrage Le Candelabre des Sanctuaires, Leiden 1948 (syr. & fr.)

17— A. Torbey, Les preuves de l'existence des anges d'apres le traite de G. B.H. sur les anges, OC 39 (1955), 119-134

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بيبلوغرافيـــا ـ ابـن العبري

BIBLIOGRAPHY (BARHEBRAEUS)

1— L. CHEIKHO, Une version arabe des Recits Plaisants de B.H., Al-Machriq 20 (1922), 709 ss, 767 ss.

2— W.F. CARR, Greg. A. Faradj commonly called B.H. : Commentary on the Gospels from the Horreum Mysteriorum, London 1925

3— F.S. MARSH, The book which is called The Book of the Holy Hierotheos With Extracts from the Prolegomena and Commentary of Theodosios of Antioch and from the "Book of Excerpts " and other Works of Gregory B.H., London-Oxford 1927

4— G. Furlani, Die Physiognomik des B.H. in syrischer Sprache, Zeitsch. f. Semitistik 7 (1929), 1-16

5— G. Furlani, La psicologia di Barhebreo secondo il libro "la crema della sapienza" , RSO 13 (1931), 24-52

6— M. Sprengling - W.C. Graham, B.H. Scholia on the Old Testament (Genesis - II Samuel), Chicago 1931.

7— G. Furlani, B. H. sull,anima razionale, Orientalia 1 (1932), 1-23, 97-115

8— H.F. Janssens, B.H. Book of the pupils of the eye, Oxford 1932

9— H. Koffler, Die Lehre des B.H. von der Auferstehung der Leiber, Rom 1932, Or. Christ. 81

10— G. Furlani, Avicenna, B.H., Cartesio, RSO 14 (1933), 21-30

11— G. Furlani, Di tre scritti in lingua siriaca di B.H. sull'anima, RSO 14 (1933), 284-308

12— G. Furlani, La demonologia di B.H. RSO 16 (1935), 375-387

13— H.F. Janssens, l'Entretien de la Sagesse (Introduction aux oeuvres philosophiquesde B.H.), Bibl. de la Fac. de Philes. et Lettres de l'Univ-de Liege, t. 75 (1937)

14— J. Bakos, Die Einleitung zur Psychologic des B.H. im achten Fundamente seines Buches der " Leuchte des Heiligtums ", Archiv. Orientalia 10 (1938), 121-127

15— E. Honigmann, Zur Chronographie des B.H., Or. Lit. Zeit. 37 (1934), 273-283

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

بين العربية والسريانية

(٥)

نشوء الخط العربي وترتيب حروفه

(تتمة)

بقلم
المطران اندراوس صنا
عضو المجمع العلمي العراقي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قدمنا للقارىء في الاعداد الاربعة ١٩٧٥ـ١٩٧٨ من مجلة مجمع اللغة السريانية سابقا اربع حلقات من بحث موضوعه «بين العربية والسريانية» وكانت الحلقات الاربع تباعا ١ـ اكتشاف الابجدية. ٢ـ اللغة الارامية. ٣ ـ نشوء الخط السرياني. ٤ ـ نشوء الخط العربي. وها نحن نتابع بحثنا في القرابة بين اللغتين الشقيقتين العربية والسريانية في مجلة المجمع العلمي العراقي، لما في ذلك من اهمية وفائدة. وسنتناول في هذه الحلقة نشوء الخطين الكوفي والنسخي. ثم نحاول ان نسلط الضوء على ترتيب الحروف العربية الذي يختلف كل الاختلاف عن ترتيب حروف سائر لغات العالم، وذلك استكمالا للحلقة السابقة التي بحثنا فيها نشوء الخط العربي (١).

قلنا في الحلقة السابقة ان الخط العربي الشمالي الذي تبناه الاسلام نشأ بين القرنين الرابع والسادس للميلاد منحدرا من الخط الارامي في احد فرعيه النبطي او السرياني او من كليهما. الا انه بعد ان عثر في مناطق النبط على عدد من النقوش

---

(١) مجلة مجمع اللغة السريانية، ٤ [١٩٧٨] ص ٣ـ٣٧.

العربية لغة او كتابة مالت كفة الميزان في الاوساط الاستشراقية الى ان نشوء الخط العربي كان من القلم الارامي النبطي · ومن هذه النقوش : نقش ام الجمال الاول سنة ٢٥٠م (شكل ١) · ونقش النمارة ٣٢٨م (شكل ٢) · ونقش زبد ٥١٢م

(شكل ١)

نقش ام الجمال الاول ، ويسمى ايضا

نقش فهربر سلى سنة ٢٥٠م

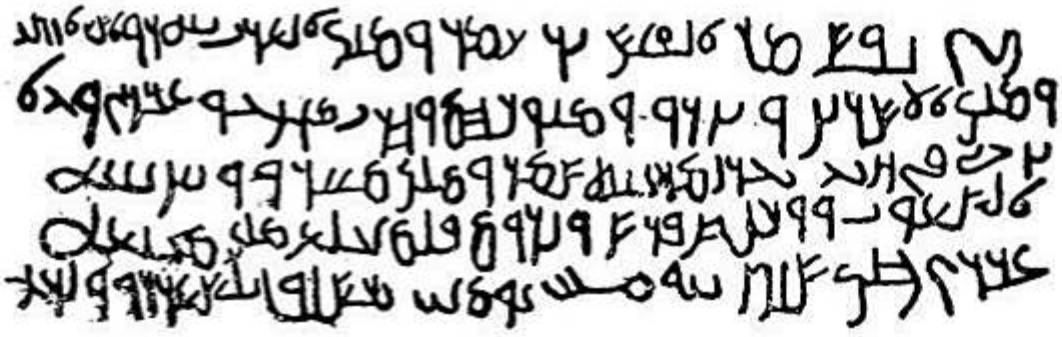

(شكل ٢)

نقش النمارة سنة ٣٢٨ م

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(شكل ٣) • ونقش حران ٥٦٨ (شكل ٤) • ونقش ام الجمال الثاني ، (شكل ٥) من اواخر القرن السادس للميلاد(٢) • الا ان هناك امور تدخل في الحسبان ، نلخصها امعانا في تفهم القسم الاول من هذا البحث :

١ ـ نسرد قسما من روايات الكتاب العرب الاقدمين الذين يرون ان الخط العربي ينحدر من الخط السرياني(٣) واشهر هذه الروايات هي : انه اجتمع ثلاثة نفر من طي ببقة(٤) ، فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية فتعلم منهم قوم من اهل الانبار ، ثم تعلمه اهل الحيرة من اهل الانبار • وان بشرا بن عبدالملك كان ياتي الحيرة فيقيم بها الحين ، وكان نصرانيا • فتعلم بشر الخط العربي من اهل الحيرة • ثم اتى الى مكة فتزوج الصهباء(٥) بنت حرب اخت ابي سفيان • فعلم ابا سفيان هذا الخط ورجالا من اهل مكة (٦) •

٢ ـ ان قسما من المستشرقين والكتاب العرب المتأخرين(٧) يعتبرون الخط العربي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٢) المصـدر نفسه ، ص ١٢ـ١٩
(٣) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٤٧١ • القاهـرة ١٩٠١ • ابن النديـم ، الفهرست ، ص ٤ـ٥ ليبسـك ١٨٧١ • القلقشندي ، صبح الاعشـى ، ٣ [القاهرة ١٩١٤] • ص ١٤ـابن دريد ، الاشتقاق ، ص ٣٧٢ • القاهرة ١٩٥٨ ابن خلدون ، المقدمة ، ج ٢ ، ص ٣٤٠ باريس ١٨٥٨
(٤) يقول الاب انستاس ماري الكرملي في مجلته «لغه العرب» ٢ [١٩١٣] ، ص ٤٢٨ ، الهامش (١) ، ان بقة موقع قريب من الحيرة •
(٥) ويقال الصهباء ، وهي من نسب الزبير •
(٦) ابن دريد ، الاشتقاق ، ص ٣٧٢
(٧) المطران اقليمس يوسف داود، اللمعة الشهية في نحـو اللغة الاراميـة ١ [الموصل ١٨٩٦] ص ١٤٣ـ١٤٤ الشيخ احمد رضا ، رسالة الخط ، ص ١٠، ١٢ ، ١٧ • صيدا ١٩١٢ • البطريرك اغناطيوس افرام برصوم،اللؤلؤ المنثور ص ٣٦ ، حمص ١٩٤٣ ـ الاب انستاس الكرملي ، لغة العرب ، ٢٢ ، ٤٣٠ • ،نبيهة عبود
The Rise of the North Arabic Script, Chicago, 1939,
P. 6-8 ; 18-20 - I. Tylor, The Alphabet, London, 1883, P. 320, note 2.

سليل الخط السرياني الاسطرنجياي ٠

٣ ـ ازدواج الابجدية منذ القدم وعلى نفس النمط في العربية كما هـو مالوف في السريانية : ابجد ، هوز ٠٠٠

٤ ـ حساب الجمل ، او القوة العددية للحروف عينها المشتركة في اللغتين العربية والسـريانية ٠ نعطي في ذلك جدولا كاملا :

ا	=	١	ز	=	٧	م	=	٤٠	ص	=	٩٠
ب	=	٢	ح	=	٨	ن	=	٥٠	ق	=	١٠٠
ج	=	٣	ط	=	٩	س	=	٦٠	ر		٢٠٠
د	=	٤	ي	=	١٠	ع	=	٧٠	ش	=	٣٠٠
هـ	=	٥	ك	=	٢٠	ف	=	٨٠	ت	=	٤٠٠
و	=	٦	ل	=	٣٠						

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثم وضع العرب قوة عددية خاصة للروادف الست كما يلي :

ث = ٥٠٠ ـ خ = ٦٠٠ ـ ذ = ٧٠٠ ـ ض = ٨٠٠ ـ ظ = ٩٠٠ ـ غ = ١٠٠٠

٥ ـ تشابه اسماء الحروف في اللغتين ـ مثلا بالسريانية الب ، بيث ، كمـل ، دالث ٠٠٠ الخ ٠٠٠

٦ ـ اضافة الروادف في اللغتين باختراع صور حروف للاصوات التي لم تكـن في الابجدية الاولى فان العرب حذوا في ذلك حذو السريان فالعرب كالسريان، اذ ارادوا ان يضعوا ستة حروف لاصوات لم تكن في الابجدية الاولى التي اخترعت في الالف الثاني قبل الميلاد ،اختاروا صور الحروف المشابهة لها لفظا ٠

٧ ـ يحذف السريان الالف في حشو الكتابة ٠ فحذا العرب سابقا حذوهم ٠ ومـا زالت حتى الان الالف محذوفة في اكثر الكلمات في المصحف ٠ وقد زالت هذه الظاهرة خارج المصحف الا في القليل من الالفاظ مثل : الله ، طه ، هذا ، ذلك هؤلاء ، لكـن ٠٠٠ الخ ٠٠٠

٨ ـ الشبه الكبـير بين حروف الخـط العربي الكـوفي والخط السريانـي السطرنجيلي(٨) (لوحة ١) يقول الشيخ احمد رضا (٩) : «اتصل العـرب

عربي	كوفي	اسطرنجيلي	نسخي قديم	سرياني شرقي	سرياني غربي
ا	ا ا ا ا	٨ ٨ ٨	١١	٤	٤
ب	ب ب ب	ב ב	ب ب	ב	ב
ج	ج ج ج	ג ג	ج ج	ג	ג
د	د د د	ד ד ד	د	ד	ד
ه	ه ه ه ه ه	ה ה ה	ه ه	ה	ה
و	و و	ו ו	و	ו	ו
ز	ز ز ز	ז ז	ز	ז	ז
ح	ح ح ح	ח ח ח	ح ح	ח	ח
ط	ط ط ط	ט ט	ط	ט	ט
ي	ي ي ي	י י	ي	י	י
ك	ك ك ك	כ כ כ	ك	כ	כ
ل	ل ل	ל ל	ل	ל	ל
م	م م م	מ מ מ	م م	מ	מ
ن	ن ن ن ن	נ נ נ	ن ن	נ	נ
س	س س	ס ס	س س	ס	ס
ع	ع ع ع	ע ע ע	ع ع	ע	ע
ف	ف ف ف	פ פ פ	ف	פ	פ
ص	ص ص ص	צ צ צ	ص ص	צ	צ
ق	ق ق ق	ק ק ק	ق ق	ק	ק
ر	ر ر ر	ר ר ר	ر	ר	ר
ش	ش ش ش	ש ש ש	ش ش	ש	ש
ت	ت ت ت ت	ת ת ת	ت ت	ת	ת

لوحة ـ ١ ـ

(٨) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٣ ، ص ٢٣ ٠ عثمان صبري ، نحو ابجدية جديدة ، ص ٦٣ ، القاهرة ١٩٦٤ ٠

(٩) رسالة الخط ، ص ١٠

الشماليون بالسريان فاقتبسوا من معارفهم الكتابة السريانية ، ثم اتخذوا منها الشكل العربي المعروف اليوم بالكوفي . وهو لدى المناظر المدقق يكاد يكون كالخط السرياني الشرقي شكلا لولا اختلاف يمكن معه رده الى اصله. في وسع القارىء ملاحظة ذلك في لوحة المقارنة (لوحة ١) بين الخط السرياني القديم السائد قبل الاسلام والخطين الكوفي والنسخي بهيئتهما في صدر الاسلام ، ويتوسم الشبه الكبير بين الخطين العربي الكوفي والسرياني .

٩ ـ لم يعثر في الحيرة والانبار في ما قبل الاسلام على اي اثر للخط العربي او للغة العربية مكتوبة بالقلم السرياني ، كما هي الحال في منطقة دومة الجندل . ومن المعروف ان عرب الحيرة والانبار لم يكونوا اقل ثقافة من عرب دومة الجندل . فهل من المنطق ان العرب في الحيرة والانبار لم يكتبوا قبل الاسلام لا بالسريانية ولا بالعربية ؟ علما ان النصرانية كانت قد انتشرت بينهم مع كل ما يستوجب ذلك من وجود قسس ورهبان تفرض عليهم وظائفهم الدينية والاجتماعية ان يتقنوا القراءة والكتابة . كانت السريانية لغة الصلاة للعرب النصارى ، الا ان استعمال اللغة العربية بقي لديهم في سائر نواحي الحياة . فلا يعقل انهم لم يكتبوا لا بالسريانية ولا بالعربية . فاما اتلف الدهر ما كتبوا ، واما ان كتاباتهم ما زالت تحت الانقاض . ولعل المنقبين عن الاثار يتحفوننا بشيء منها في المستقبل .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

لابد اذا ان عرب الحيرة والانبار قد كتبوا . ولكن باي خط كتبوا ؟ استعمل عرب الحيرة والانبار اللغة السريانية والخط السرياني في شؤونهم الدينية اسوة باخوانهم عرب دومة الجندل وبكل مسيحي الشرق الاوسط من العرب وغير العرب. وفي بادىء الامر ، حين لم تكن لهم كتابة عربية ، لابد انهم كتبوا لغتهم العربية بالقلم السرياني اسوة ايضا باخوانهم عرب دومة الجندل . الا انه كما وصلت الحال لدى عرب المنطقة الغربية الى ان يتكون عندهم رويدا رويدا قلم عربي مستقل عن القلم السرياني ، كذلك من المنطق ان العرب في المنطقة الشرقية توصلوا الى خط عربي مستقل ، سيما وفي لغتهم العربية حروف ذوات اصوات لا مقابل لها في اللغة السريانية مثل الجيم والضاد والظاء .

بعد هذا يمكننا القول ان الخط السرياني لعب دورا مهما في نشوء الخط العربي او أقله في تطويره :

فاما ان المنشأ الاول للخط العربي اطلاقا هـو الحيرة والانبار ، كما يذكـر الكتاب العرب الاقدمون في رواية مرامر بن مرة ورفيقيه ، وهذا لايمكن بته لصالح هذه النظرية بعد اكتشاف النقوش العربية في مناطق النبط • واما ان الخط العربي نشأ قبيل الاسلام في منطقتين ، الكوفي نشأ من الارامي السرياني في مناطق الحيرة والانبار ، والنسخي نشأ من الارامي النبطي في مناطق النبط • ونحن نميل الى هذه النظرية التي يدعمها بعض الكتاب العرب الاقدمين ، القلقشندي وغيره ، وقسم من المستشرقين والباحثين العرب المتأخرين مثل نبيهة عبود(١٠) ، والمطران اقليميس يوسف داود (١١) والبطريرك اغناطيسوس افرام برصوم (١٢) • والراي الاكثر وضوحا وموضوعية هو للاب انستاس ماري الكرملي(١٣) حيث يقول متبنيا راي القلقشندي : «كان قبل ظهور الاسلام خطان عند العرب ، خط له مشابهة كليـة للارامي الاسطرنجيلي ، وهو المعروف بالجزم (لانه جزم او قطع عن خط السريان اي الاسطرنجيلي) ، وكان يكتب به العرب المجاورون لديار العراق ، وخط كان له مناسبة بينة لخط الانباط ، وهو الخط النبطي • وكان يكتب به العرب المجاورون لديار الشام ، وكان يعرف بالخط الجليل • (عن القلقشندي) •

وعليه فنحن نرى ان الخط العربي في منطقتين مستقلتين : نشأ الخط العربي الكوفي من الخط الارامي السرياني في منطقة الانبار والحيرة ونشأ الخط العربـي النسخي من الخط الارامي النبطي في منطقة الانباط • من الطبيعي ان يكون هـذان الخطان قد تاثر الواحد بالاخر نتيجة للمخالطة التي كانت قائمة بين القبائل العربية حيثما سكنت • ونتيجة لهذه المخالطة ايضا انتشر الخط بين العرب • فحسب روايـة

(10) The Rise of the North Arabic Script . P. 6-8 , 18

(١١) اللمعة الشهية ج١ ، ص ١٤٣ـ١٤٤
(١٢) اللؤلؤ المنثور ص ٣٦
(١٣) لغة العرب ، م٢ ص ٤٣٠

الاقدمين ، كما ذكرنا،وصل الحجاز وانتشر في مكة ويثرب بواسطة بشر بن عبدالملك الكندي وغيره من العرب المسافرين من العراق ومن مناطق النبط • نتكلم باختصار على كل من هذين الخطين اللذين هما دعامتين للخط العربي لدى نشوئه :

١ ـ الخط الكوفي • ونورد نموذجا منه في اكتماله (شكل ٦)

لقد عاصر نشوء الخط الكوفي بناء مدينة الكوفة ، (١٤)اذ مدينة الكوفة اسسها القائد العربي سعد بن ابي وقاص بعد وقعة القادسية سنة ٦٣٨ م• ودعي هذاالخط باسم الكوفة لانها كانت قد اصبحت اشهر مدن الجنوب الاوسط للعراق • سيما في عهد الامام على واولاده ، عهد اكتمال الخط الكوفي وازدهاره• يقول الاب انستاس الكرملي : (١٥) «من الصواب سمى هذا الخط (الكوفي) بالخط الحيري او الانباري اشارة الى معدن نقله او وضعه او تعلمه •» ويضيف الاب انستاس الكرملي قائلا : «ويسمى ايضا الجزم لانه جزم اي قطع عن خط السريان اي الاسطرنجيلي •» يذهب الكثير من الكتاب العرب الاقدمين الى ان الخط العربي هو المعروف الان بالكوفي • ومنه اتت سائر الاقلام التي تستعمل الان • واول مانقل الخط العربي من الكوفي • الى تلك الاقلام كان في اواخر خلافه بني امية واوائل خلافة بني العباس • (١٦) ورأينا في ذلك هو ان الكتابة العربية نشأت بفرعيها (في ديار العراق الكوفي وفي ديار الشام النسخي) • وكانت في اول نشوئها في شكل بدائي • وفي صدر الاسلام نجح اهل العراق في ان يطوروا خطهم الكوفي الى حد انه بسبب جماله وتناسقه طغى على اخيه الخط النسخي في كل مكان بدون ان يلاشيه • فاصبح الكوفي خط المصاحف وخط النقوش في الابنية ، لاسيما في المساجد وقصور الامراء وخط الاضرحة • وحي الاثار الخطية التي لم يقو الدهر على طمس معالمها • وعندما انتشرت الثقافة بين العرب في سوريا والعراق وكثرت الكتابات والتأليف اخذ الخطاطون في تبسيط الكتابة الكوفية المربعة ليتسنى لهم خط كل ما يكتب

(14) I. Tylor , The Alphalet P. 320

(١٥) لغة العرب ٢ : ٤٢٩ـ٤٣٠

(١٦) المصدر نفسه ، ص ٤٣٣ ، عن القلقشندي •

ويؤلف • فأدى هذا التبسيط الى الرجوع الى الخط النسخي المدور البسيط اصلا في شكل منسق والى نشوء سائر الخطوط العربية •

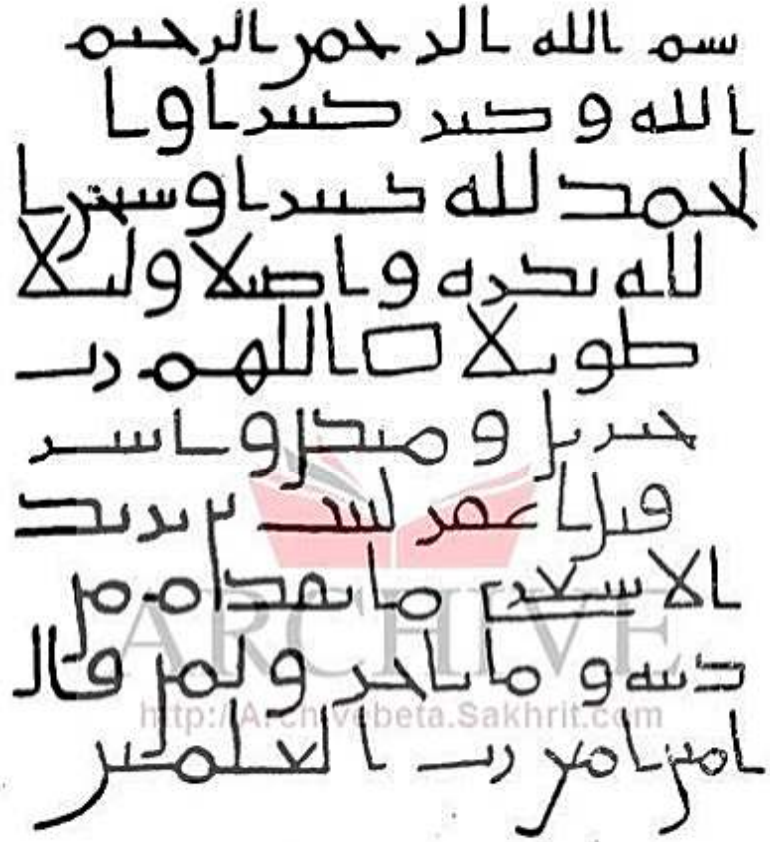

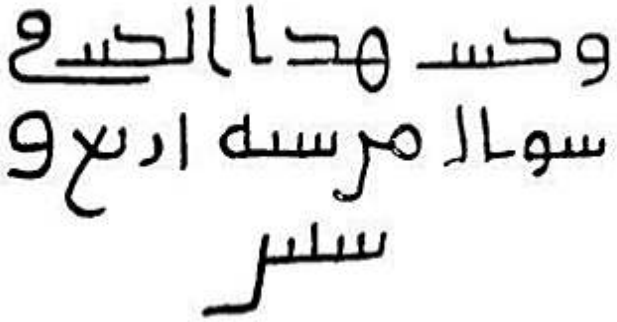

(شكل ٠٦)

كتابة كوفية على حجر قبر ثابت بن يزيد في جفنة الابيض بمحافظة كربلاء في العراق مؤرخة سنة ٦٤ هجرية

هناك نظرية اخرى في علاقة الخط الكوفي بالخط السرياني وهي : ان الخط الكوفي ليس سهليل الخط السرياني ، بل سليل النبطي • وكل ما في الامر ان الخط الكوفي تاثر بالخط السرياني الذي كان سائدا انذاك بين نصارى العراق • وهذا رأي قسم من المستشرقين • (١٧) ان هذه النظرية تستند الى ان كل الاثار الكتابية العربية لعهد ما قبل الاسلام عثر عليها في مناطق النبط • الا انه لابد من الانتباه الى الاعتبارات التي ذكرناها والتي ، في راينا ، لها وزنها •

٢ ـ الخط النسخي وكان يدعى ايضا الخط المقور ويعرف بالخط الجليل (١٨)

ذهب قسم من الكتاب العرب الى ان ناقل الخط النسخي من الخط الكوفي هو الوزير محمد ابو علي بن مقلة ٨٨٦ـ٩٤٠م • الا ان بعضهم يرى ان ابن مقلة اتم ما بدأ كتاب اخرون من هذا التحويل • فالقلقشندي يروي عن صاحب كتاب اعانة المنشيء (١٩) ان الكمال في الخط النسخي للوزير ابن مقلة • فهو الذي هندس الحروف واجاد تحريرها ، وعنه انتشر الخط في مشارق الارض ومغاربها • ويضيف هذه الابيات الشعرية : ولله قول القائل :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سبق الدمع في المسير المطايا اذ روى من احب عنه بقلة
واجاد السطور في الخد د ولم لا يجيد وهو ابن مقلة

ويرى عثمان صبري (٢٠) ان الخط الكوفي ظل مسيطرا على عالم الكتابة الى ان ظهر في اواخر حكم الدولة الاموية قطبة المحرر الذي بدأ في الاتجاه بالخط العربي الى الشكل الذي هو عليه اليوم • وفي العهد العباسي برز الكاتب الوزير ابن مقلة

(17) M. Cohen, La grande Invention de L'Ecriture, Text, P. 181, Paris 1958, I. Tylor, The Alphabet, P. 320

(١٨) عباس العزاوي ، الخط العربي في ايران ، مجلة سومر، ٢٣ [١٩٦٧] ،ص١٥١

(١٩) صبح الاعشى ، ٣:١٧ •

(٢٠) نحو ابجدية جديدة ، ص ٨٢

(٢١) تاريخ الادب ، ص ١٣١ ، القاهرة ١٩٥٨

واتم تحويل الخط الى الشكل الذي هو عليه الان . ويذهب حفني ناصف المذهب نفسه (٢١) ناقلا الاشعار التالية عن ابن مقلة قائلا : «وبه ضرب المثل في الخـط البديع . وقال الشاعر :

خط ابن مقلة مـن ارعاه مقلته ودت جوارحه لو اصبحت مقلا

وقـال اخـر :

فصاحـة سحبان وخط ابن مقلة وحكمـة لقمـان وعفـة مريم
اذا اجتمعت في المرء والمرء مفلس ونادوا عليه لايباع بدرهـم

ويذهب صاحب كتاب صفة الصفوة (٢٢) الى ان الحسن البصري الذي ولـد في المدينة سنة ٢١هـ وتوفي في البصرة سنة ١١٠هـ هو الذي قلب الخط الكوفي الـى النسخي . الا ان قسما كبيرا من الكتاب العرب والمستشرقين يرون ان الخط النسخي كتب به قبل عهد ابن مقلـة :

ARCHIVE

فيروي القلقشندي (٢٣) عن احد السابقين ان «الكثير من كتاب زمانه يزعمون ان الوزير ابا علي بن مقلة هو أول من ابتدع الخط المقور ، وهو غلط . فانا نجـد من الكتب بخط الاولين فيما قبل المائتين (عهد ابن مقلة) ما ليس على صورة الكوفي بل يتغير عنه الى نحو هذه الاوضاع المستقرة ، وان كان الى الكوفي اميل لقربه من نقله عنه .» ويقول الشيخ احمد رضا : (٢٤) «ان في المكتبة الخديوية بمصر (تسمى اليوم : دار الكتب) نسخة من الرسالة للامام الشافعي كتبت سـنة ٢٦٥ هـ ، اي قبل وفاة ابن مقلة بثلاث وستين سنة ، وخطها الى النسخ اقرب منه الى الكوفي .» بل هناك من الكتاب من يذهب الى ان الخط النسخي يرقى الى فجر الاسلام بـل الى العهد السابق للاسلام . عثر على نقوش كتابية عربية من بدء العهد الاسلامي خطها يميل اكثر الى النسخي منه الى الكوفي . نذكر منها كتابات منقورة على جبل

(٢٢) صفة الصفوة : لابن الجوزي ، ٣ : ١٥٥ـ١٥٩
(٢٣) صبح الاعشـى ، ٣ : ١٥
(٢٤) رسـالة الخـط ، ص ١٧

سلع في المدينة (شكل ٧) من عهد الخلفاء الراشدين • وكتابة شاهد قبر عبدالله

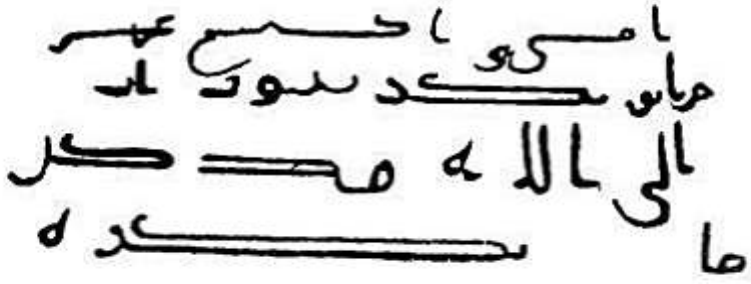

(شكل ٧)

احدى الكتابات المنقورة على جبل سلع

بن خير الحجري الذي وجد باسوان في جنوبي مصـــر ، وتاريخه ســـنة ٣١ هـ • (شكل ٨) كان عبدالله ، كما يظهر ، احد جنود القائد العـربي عمرو بن العاص • ويذكر حفني ناصف (٢٥) ان قسما من الكتاب الاقدمين يروون ان كتاب النبي كانوا يكتبون بالخط المقور وهو النسخي • نورد هنا احد كتب النبي ، وهو كتابه الى منذر بن ساوا عامل كسرى على البحرين ، (شكل ٩) وقد حفظ في دمشق ، في رأينا خطه اقرب الى النسخي منه الى الكوفي • ويذكر المستشرق ديرينكر ان كلا الخطين الكوفي والنسخي كان يستعمل في فجر الاسلام • (٢٦) ويضيف ان الخـط الكوفي كان شائعا في الكوفة والبصرة والخط النسخي في مكـــة والمدينة • (٢٧) ويذهب البعض الى ان الخط النسخي سابق للعهد الاسلامي • فيقول الشيخ احمد رضا(٢٨) ان الباحثين وجدوا حجرا في اللجا من جبل حوران عليه كتابة عربية ويونانيـــة يرتقي زمنها الى ما قبل الهجرة النبوية باربع وخمسين سنة والخط العربي فيهـا من النوع النسخي • (٢٩) ان الحجر الذي يذكره الشيخ احمد رضا هو احـــد

(٢٥) تاريـخ الادب ، ص ٦٢

(26) D. Diringer. The Alphabet, Vol. I. P. 212, London 1968;

(27) Writing , P. 142, London, 1962

(٢٨) رســالة الخط ، ص ١٧

(٢٩) يشير الشيخ احمد رضا الى النقش المعروف باسم «نقش حران» (شكل ٤)=

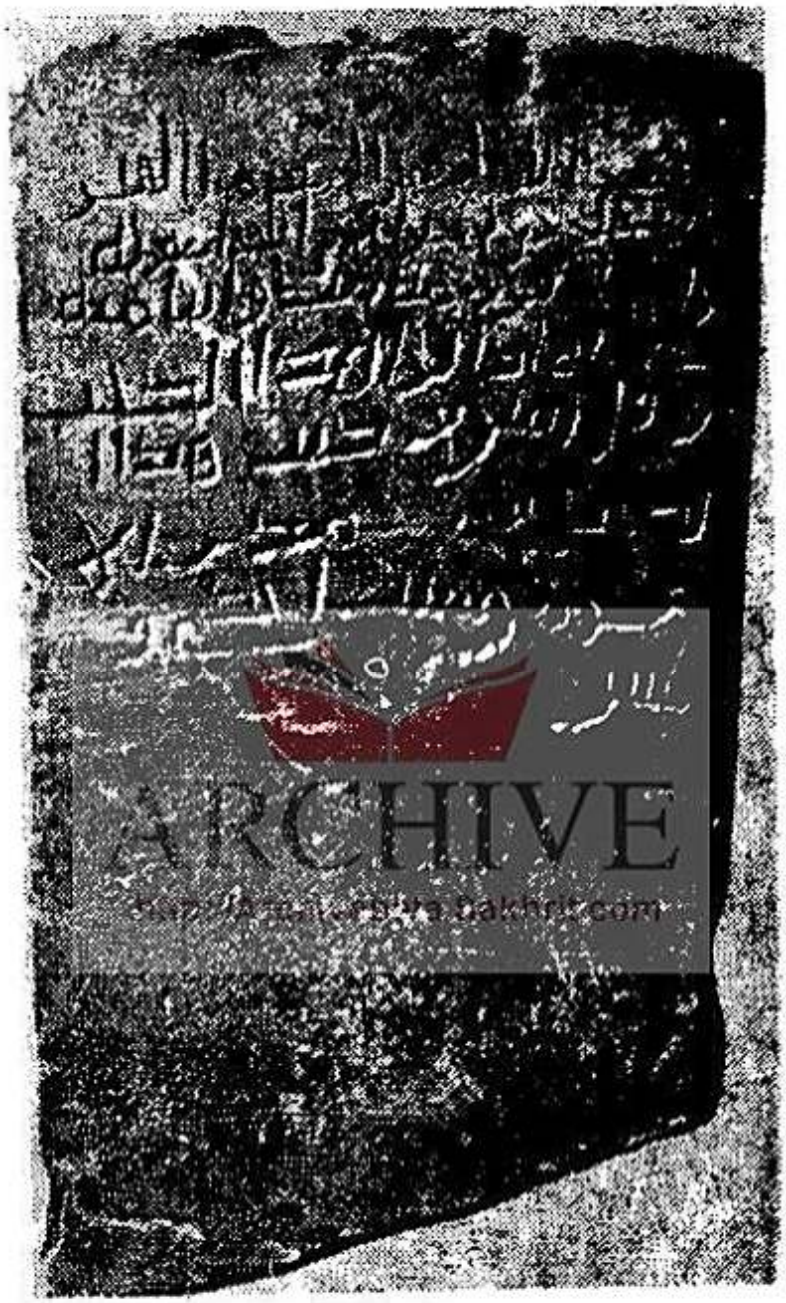

(شكل ٨)
كتابة بخط عربي قـديم من شـاهد قبر عبدالرحمن بن
الحجـري من مصر مؤرخ سنة ٣١ هـ

= الذي عثر عليه في المنطقة الشمالية من جبل الدروز يرتقي تاريخه الى سـنة ٥٦٨ م ٠

(شكل ٩)

كتاب النبي الى منذر بن ساوا امير البحـــرين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النقوش الخمسة الاولى التي كتبت بالعربية لغة او كتابة • وبهذا نصل الى عهـد نشوء الخط العربي في مناطق النبط • وخط هذه النقوش اقرب الى النسخي منه الى الكوفي • وفي وسع القارىء ان يلاحظ ذلك في الاشكال (٣ : ٤ ، ٥) • وهـــذا

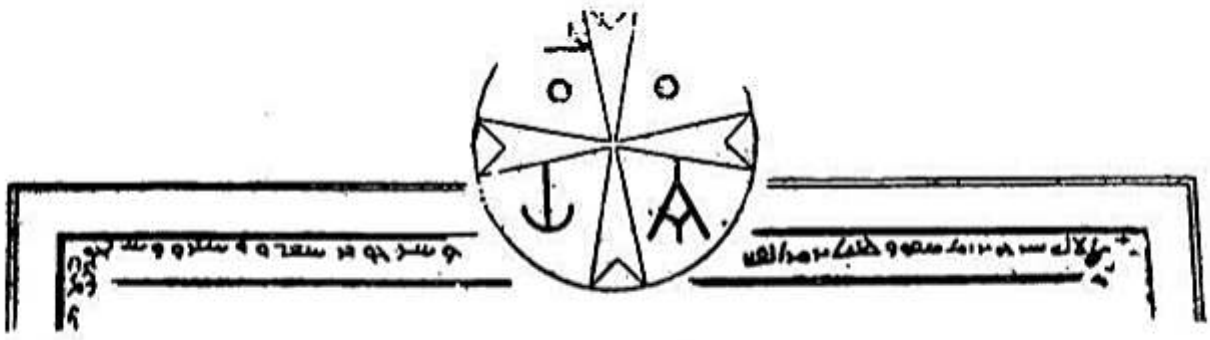

(شكل ٣)

نقش زيد سنة ٥١٢ م

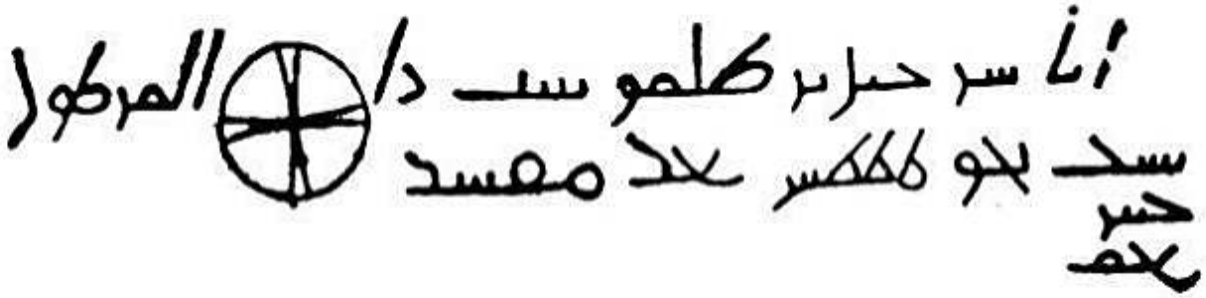

(شكل ٤)
نقش حران سنة ٥٦٨ م.

(شكل ٥)
نقش ام الجمال الثاني
اواخر القرن السادس م

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يدعم راينا اي ان الخطين الكوفي والنسخي نشا مستقلين الواحد عن الاخر • الكوفي في الحيرة والانبار والنسخي في مناطق النبط •

ترتيب الحـــروف العربيـــة

ذكرنا ان العرب اقتبسوا كتابتهم من الخط الارامي السرياني او الارامي النبطي او من كليهما • والان لابد ان نقول كلمة عن حروف الهجاء العربية قبل ان ندخلها في موضوع ترتيبها :

تتالف الابجدية السريانية من اثنين وعشرين حرفا تجتمع في ست كلمات : ابجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، سعفص ، قرشت • لستة من هذه الحروف ، وهـي : الباء والجيم (المصرية) والدال والكاف والفاء (P اللاتينية) والتاء ، لفظان الاول شديد

وهو الاصل ، والاخر لين وهو مستحدث • وللتمييز بينهما توضع نقطة تحت الحرف فيصبح لينا : فالباء تصير فاء (V اللاتينية) والجيم (المصرية) تصير غينا ، والدال ذالا ، والكاف خاء ، والفاء (P اللاتينية) تصير فاء ، والتاء ثاء • والكثير ممن يسرد الحروف السريانية مفردة يورد ايضا الالفاظ اللينة الستة كلا بعد اصله مباشرة • فتصبح الابجدية السريانية (٢٨) حرفا ، اثنا عشر منها صورة واحدة لكل حرفين • وحروف الهجاء العربية تتالف ايضا من (٢٨) حرفا ، غير ان حرفي ض ، ظ العربيين لا وجود لهما في اللغة السريانية • كما ان حرفي القاء والپاء (V و P اللاتينيين) لا وجود لهما في اللغة العربية • وحرف الجيم يلفظ بالسريانية كالجيم المصرية •

ليس من شك في انه لدى نشاة الخط العربي بين القرنين الرابع والسادس للميلاد اقتبس العرب الحروف الارامية ـ السريانية الاثنين والعشرين • وكما ان السريان عندما احتاجوا الى التعبير عن اصوات لم تكن موجودة في الابجدية الارامية لجاوا الى اختراع حروف جديدة واستخدموا في ذلك الحروف التي في مخارجها شبه بالاصوات الناقصة ، فاتخذوها صورا لحروفهم الجديدة • وللتمييز بين الاصل والفرع وضعوا نقطة صغيرة تحتها ! كذلك حذا العرب حذوهم لمعالجة التعبير عن الاصوات الموجودة في لغتهم والتي لا وجود لها في الابجدية الاصلية ، وتسمى الروادف • (٣٠) مع استبدال الحرف الثالث ، الجيم المصرية بالجيم العربية ، واسقاط حرفي پاء الاصلية وثاء المستحدثة اللتين ليس لهما صوت في لغتهم • اما بخصوص الحروف المستحدثة الاربعة الباقية : فان الغين التي لها شبه مع الجيم المصرية ، الحقها العرب بالعين لسقوط الجيم المصرية من بين حروفهم • والخاء التي الحقها السريان بالكاف الحقها العرب بكل صواب بالحاء لان الشبه في مخارج الاصوات بين الحاء والخاء اكبر مما هو بين الكاف والخاء • اما الذال والثاء فقد حذا العرب حذو السريان بالحاقهما بالدال والتاء • وبينما لجا السريان للتمييز بين الحروف الفرعية من الاصلية الى وضع نقطة تحت الحروف الفرعية ، وضع

(٣٠) من «ردف» أي تبع • والرديف هو الرجل الذي يركب خلف فارس على حصانه •

العرب النقطة فوقها • وقد اصاب العرب ايضا عندما جعلوا الحروف الفرعيـة مستقلة عن الاصلية وليس لها اية علاقة معها ؛ بينما لم يعتبرها السريان حروفـا مستقلة ، بل استعملوها صوتين لحرف واحد • فيأتي الحرف نفسه في مشتقات كلمة واحدة تارة بلفظ شديد واخرى بلفظ لين حسب قواعد معينة ؛ وهذا تعقيد في اللغة • هناك حرفان في العربية هما الضاد والظاء ليس لهما اثر في السريانيـة الحقهما العرب بكل صواب بحرفين تتشابه مخارج الاصوات بينهما•فالحقوا الضاد بالصاد والظاء بالطاء •

بعد هذه المقدمة في حروف الهجاء في العربية وعلاقتهما مع الابجدية السريانية نتناول ترتيب الحروف لدى العرب ؛ وقد مر بثلاث مراحل •

١ ـ ترتيب ابجـد المزدوج •

يظهر انه لم يكن للعرب قبل الاسلام ترتيب خاص للحروف مختلف عـن ترتيب الابجدية السريانية ، اذ لم نعثر له على اثر في ذلك العهد •

فمتى اذا عني العرب بترتيب حروفهم ؟

ان التانق والاتقان في الترتيب الحالي لحروف الهجاء العربية لم يات الا بعد تقدم عصر الكتابة ومزيد من العناية فيها • ولم يكن للكتابة العربية في اول نشاتها شيء من ذلك • فلابد ان يكون هذا الترتيب متاخرا عن اول وضـع الحروف ، اذ ليس للعرب في بداوتهم مثل هذا الاتقان • ويغلب على الظن انه وضع في العهـد الاسلامي • وفي صدر الاسلام كان العرب يعرفون الابجدية السريانية المالوفـة • وقد جاء انها كانت تعلم بصورتها المزدوجة في خلافة عمر بن الخطاب • ويـروي الشيخ احمد رضا شعر الاعرابي :

اتيـت مهاجريـن فعلمونـي ثـلاث اسـطر متتابعـات
وخطـوا لـي اباجـاد وقالـوا تعلـم سـعفصا وقريشيات

٢ ـ الترتيب حسب مخارج اصوات الحروف

الترتيب الاول الذي يظهر للحروف المفردة في كتب العرب متباينا مع الابجدية السريانية المألوفة هو ترتيب مخارج اصوات الحروف،ابتداء من الحروف الخارجة من الصدر ذهابا الى الشفتين • وهو كالاتي : د هـ ع ح غ خ ق ك ج ش ي ض ل ر ن ط ت ص س ز ظ ذ ث ف ب م و • (٣١) الا ان من اتبعوا هذا الترتيب اختلفوا بعض الشيء الواحد عن الاخر • وهنا نذكر قسما من اللغويين الذين جروا عليه :

اولهم الخليل بن احمد الفراهيدي (١٠٠ـ١٧٥ هـ) في كتاب العين ، ثم سيبويه ، فاسماعيل القالي (٢٨٨ـ٣٥٦ هـ) في كتابه البارع في غرائب الحديث ؛ وهو ، رأي الدكتور حسين نصار ، المعجم الاول في الاندلس • (٣٢) وغير هؤلاء كابي منصور الازهري (٢٨٢ـ٣٧٠ هـ) في كتاب التهذيب • والصاحب بن عباد (٣٢٤ـ٣٨٥ هـ) في كتاب المحيط ••• الخ •••

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكتاب «العين» للخليل الفراهيدي هو اول كتاب الف في متن اللغة • وقد غير بعض الشيء في الترتيب المألوف للمخارج • فهو يستهل بالعين مؤخرا الهمزة والهاء ـ يقول لم أبدا بالهمزة لانه يلحقها النقص والتغيير والحذف • ولا بالالف لانها لاتكون في ابتداء كلمة ولا في اسم ولا فعل الا زائدة او مبدلة • ولا بالهاء لانها مهموسة خفية لا صوت لها • فنزلت الى الحيز الثاني وفيه العين والحاء فوجدت العين انصع الحرفين فابتدات بها ليكون احسن في التاليف» • (٣٣) فجاء ترتيب كتاب العين (٣٤) كالاتي : ع ح هـ خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م و ا ي (٣٥) •

(٣١) حفني ناصف ، تاريخ الادب ، ص ٣٥
(٣٢) كتاب البارع في غرائب الحديث صور في لندن ١٩٣٣
(٣٣) الخليل بن احمد الفراهيدي ، كتاب العين ، تحقيق عبدالله درويش ، ص٣٤ طبع المجمع العلمي العراقي جزء واحدا منه بغداد ١٩٦٧
(٣٤) سمي كتاب العين لابتدائه بحرف العين
(٣٥) كتاب العين ، ص ٤٥

وذكر الدكتور حسين نصار ان ابا القاسم سهل بن محمد السجستاني الف نحو سنة ٢٥٥ هـ كتابا للصيغ ترتيب حروفه كالاتي : هـ ع غ خ ح ج ق ك س ش ص ض ل ر ن ط ظ ب ت ث ز ف م و ي • يبدو لاول وهلة انه رتب على مخارج الحروف ، الا انه يظهر لمن يتمعن منه انه خليط بين ترتيب المخارج وترتيب الهجاء الحالي • فلقد خلط الكاتب بين الطريقتين (٣٦) •

٣ ـ الترتيب الحالي لحروف الهجاء العربي

ليس سهلا على المرء ان يفطن في النظرة الاولى الى التنظيم المتقن والمنسق لترتيب حروف الهجاء العربية الحالي • فيظن لاول وهلة انه ليس فيه اي تنظيم مقصود • الا ان الانصاف يحدو بنا ان نقول ان الترتيب العربي للحروف فاق بالتنسيق والاتقان ترتيب سائر لغات العالم • فما هي اذا الاسس التي سار عليها من عنوا به ؟ يعزى هذا الترتيب الى نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر العدواني كاتبي والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي في عهد عبدالملك بن مروان الاموي(٣٧) ولقد اعتمد واضعو هذا الترتيب الاسس التالية :

أ ـ الابجدية السريانية كاساس

بـ اضافة الروادف

ج ـ مراعات مخارج الاصوات للحروف ومناسباتها الصورية

د ـ اخراج حروف العلة لاخر الحروف

فاخذوا حروف ابجد السريانية الواحد تلو الاخر والحقوا بها الحروف المشابهة لها صورة او صوتا ، جاعلين الحروف ثماني عشرة صورة بضمنها الالف• فبداوا بالالف لانها اول الحروف في ترتيب ابجد ، وبها تستهل غالبية ابجديات

(٣٦) حسين نصار ، المعجم العربي ، ص ١٥٩ـ١٦٠ ، مصر ١٩٥٦
(٣٧) عثمان صبري ، نحو أبجدية جديدة ، ص ٧٩

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

العالم ، ولكونها اقصى حروف الحلق فهي اول الحروف في مراتب النطق ٠(٣٨) بعد هذا قسموا الحروف الى ثلاث طوائف حسب تشابهها صورة او لفظا : ما اشتملت على حرف واحد ، وهي ثماني صور بضمنها الالف وحروف العلة ٠ وما اشتملت على ثلاثة حروف ، وهي صورتان ٠ وجعلوا الصورة ذات ثلاثة حروف في اول الحروف بعد الالف ، ويتفق اول الحروف الثلاثة في كلتا الصورتين في تسلسل ابجد بعد الالف مباشرة ٠ ثم تلتها الصور ذات الحرفين ؛ وبعدها الصور ذات الحرف الواحد ٠ والحقوا حروف العلة في اواخر القائمة ٠ وهذا الترتيب يتفق وحروف ابجد السريانية كاساس ٠ فبعد الالف وضعوا الباء ، وهو الحرف الثاني من ابجد ؛ والحقوا به التاء والثاء للتشابه ٠ ثم حرف الجيم من ابجد ، والحقوا به الحاء والخاء للمشابهة ٠ ثم وضعوا حرف الدال من أبجد والحقوا به الذال للتشابه ٠ يتبع الدال حرف الهاء في ابجد ، ولكونها تشبه حروف العلة لضعفها في اللفظ نقلوها معها الى اخر الحروف ٠ ثم نقلوا الواو ايضا الى الاخر لانه حرف علة ٠ وقبل الزاي التي تعقب الواو في ابجد وضعوا حرف الراء المشابه للزاي ، مؤخرين هذه الاخيرة ليستهلوا بها حروف الصفير ٠ فذكروا بعدها السين للتشابه بصوت الصفير واعقبوها بالشين للتشابه ٠ ثم الصاد للتشابه بصوت الصفير والحقوا بها الضاد للتشابه ٠ وبعد الانتهاء من حروف الصفير رجعوا الى أبجد ، فذكروا الطاء واعقبوها بالظاء للتشابه ٠ واخرجوا الياء من أبجد الى اخر الحروف لكونها حرف علة ٠ واخروا اربع حروف صحيحة من محلها في أبجد وهي الكاف واللام والميم والنون ، لكونها صور ذات حرف واحد ، اخروها الى ما بعد الصور ذات الحرفين ٠ ثم ذكروا العين من أبجد واعقبوها بالغين للتشابه ٠ ثم الفاء من أبجد والحقو القاف للتشابه٠ولما انتهوا من ذكر الحروف ذات الصور المتشابهة ثلاثا واثنتين ، رجعوا الى الصور ذات الحرف الواحد ، وهي من ابجد الكاف واللام والميم والنون ٠ وبعد الانتهاء من الحروف الصحيحة ختموا حروف الهجاء بحروف العلة الواو والياء ولام الف والهاء المشابهة لها ٠ ومع لام الف يصبح عدد الاحرف العربية تسعة وعشرين ٠ وقد اختلف علماء اللغة في اعتبار الالف المكتوبة مع اللام

(٣٨) الشيخ احمد رضا ، ص ٢٦

بين الحروف • فمنهم من لايعير لها بالا ، مكتفين بالالف الحرف الاول من ابجد • ومنهم يدرجها في قائمة حروف الهجاء معتبرين اياها الحرف التاسع والعشرين من حروف الهجاء • ومعتبرين الحرف الاول همزة • (٣٩)

بعد هذا ، باستطاعة المرء ان يلاحظ في ترتيب الحروف العربية ان منظميه ، مع اعتمادهم الابجدية السريانية كاساس ، غيروا العديد من الحروف عن مواضعها في ابجدية ، جامعين الحروف حسب الشبه في الصورة وفي اللفظ •

الترتيب الغربي ومقارنته مع الترتيب الشرقي •

بجانب ترتيب حروف الهجاء العربية الذي تكلمنا عليه قام ترتيب اخر سمي «الترتيب الغربي» نسبة الى المنطقة الغربية من الوطن العربي اي المغرب العربي في شمالي افريقية • ويختلف هذا الترتيب عن الترتيب الشرقي المالوف في كلتا الطريقتين المزدوجة والمفردة •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يزدوج الترتيب الشرقي المالوف كالاتي : ابجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ • وهذا عبارة عن الابجدية المزدوجة لدى السريان مع اضافة الراودف في كلمتين في الاخر حسب اسبقية ورودها في حروف الهجاء • اما الترتيب المزدوج الغربي فهو كالاتي : أبجد هوز حطي كلمن صعفض قرست ثخذ ظغشن • وقد اختلف مكان الاحرف في هذا الترتيب ، ليس فقط عن الترتيب المزدوج الشرقي بل واختلف ايضا عن الترتيب الغربي للحروف المفردة ، كما سنلاحظ ذلك بعد قليل لدى سردنا لقائمة الحروف المفردة للترتيب الغربي •

ولقد جاء ايضا الترتيب الغربي للحروف المفردة ناقصا بالمقارنة مع الترتيب الشرقي • اتبع واضعو الترتيب الغربي الاسس نفسها التي بموجبها وضع الترتيب الشرقي • الا انهم زاغوا عنها في قسم من الحروف • نذكر الترتيبين الشرقي والغربي للحروف المفردة لتسهيل المقارنة بينهما وملاحظة مواضع النقص في الترتيب الغربي:

(٣٩) ان السريان لم يميزوا بين الالف والهمزة

الترتيب الشرقي : ابتث جحخ دذ رز سش صض طظ عغ فـق
ك ل م ن هـ و ي لا

الترتيب الغربي : ا بتث جحخ دذ رز طظ ك ل م ن صض عغ
فـق سش هـ و لا ي

يلاحظ القارىء ان واضعي الترتيب الغربي بداوا ايضا بالالف ثم تبعوا الابجدية السريانية مقدمين الصور ذات ثلاثة حروف اسوة بالترتيب الشرقي • ثم اعقبوها ايضا بقسم من الصور ذات الحرفين • ولمـا وصلوا في حروف ابجد الـى الزاي المشابهة بالصورة حرف الراء ، سبقوا الراء على غرار ما هو في الشرقي • الا ان سبب تسبيق الراء على الزاي في الشرقي هو ليستهل ذكر حروف الصغير • اما في الغربي فقد انتفى هذا السبب ، اذ لم يورد واضعوه بعد الزاي حروف الصفير للتشابه في اللفظ ، بل فضلوا اتباع نظام ابجد السرياني على متابعة ذكر الحروف المتشابهة صورة او لفظا • فذكروا الطاء التي اخرها الشرقيون الـى مابعد حروف الصفير ، واعقبوها بالظاء للمشابهة • ثم خالف الغربيون حتى اسلوب نظام المشابهة الصورية واللفظية ، اذ قطعوا ذكر قسم من الحروف المتشابهة في صورة وهي سش صض عغ فـق وسبقوا عليها من ابجد الحروف الصحيحة الاربعة التي تنفرد كـل منها بصورة واحدة ، وهي الكاف واللام والميم والنون التي اخرها الشرقيون الـى ما بعد الانتهاء من ذكر الصور ذات الحرفين • بعدها عادوا الى ذكر القسم المتبقي من الصور ذات الحرفين ، ولكـن بدون التقيد بترتيبها الابجدي • فسبقوا صورة الصاد ورادفها الضاد على ثلاث صور ترد قبلها في ابجد وهي السين والعين والفاء ورادفها الشين والغين والقاف • وان كانت طريقة الغربيين في قسم من الحروف اقرب الى ترتيب ابجد السريانية المالوف ، الا انها زاغت عن الاسس التي اعتمدها الشرقيون والتي تعطي لترتيب حروف الهجاء العربية جمالها وحسن تنسيقها •

بعد هذه المقارنة التي ابرزت جوانب النقص والضعف في الترتيب الغربي من البديهي ان نقول ان الترتيب الشرقي افضل من الترتيب الغربي اذ يفوقه بحسـن التنسيق ولطف التنظيم • لذلك تبناه اكثر العرب •

متى تم ترتيب حروف الهجاء العربية ؟ واي الترتيبين هـو السابق زمنيا ؟ يرى الشيخ احمد رضا : (٤٠) ان الترتيب المغربي متاخر عـن اخيه المشرقي لان الترتيب الشرقي ، حسب قوله ، اقرب الى الاصل • ونحن نرى ان الترتيب المغربي اقرب الى اصل الابجدية السريانية التي منها نشأ ترتيب حروف الهجاء العربي • فالشرقيون ، وان راعوا في ترتيبهم الابجدية السريانية ، غيروا غالبية حروف أبجد من مواصفها لينسقوها حسب تشابهها صورة او لفظا • نلاحظ ان الغربيين لـم يراعوا دائما هذه القاعدة ، بل حرصوا اكثر من اخوانهم الشرقيون علـى اتبـاع ترتيب الابجدية السريانية علـى حساب حسن التنسيق وجمال التنسيق • وان محاولة الغربيين عدم الابتعاد عـن ترتيب الابجدية السريانيـة افقدها تنسيقها وجمالها • ولعل الترتيب المعروف بالغربي لم يوضع في المغرب ؛ وقد يكون محاولة أولى من العرب لترتيب حروف الهجاء ، انتشر في العالم العربي شرقا وغربا • ولما بلغ الامر بهم الى كمال التنظيم ودقة التنسيق لحروف الهجاء ، تبناه الشرق العربي وتخلف عنـه المغاربة مستبقين ما الفوه من قبل •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والان متى ظهرت الاثار الاولى لترتيب حروف الهجاء العـربية الذي بيدنا اليوم ؟ لايجوز القول ان اقدم اثر بهذا الشأن هو الاقدم مطلقا • فلعـل هناك اثارا طمسها الدهر واضاعها • ولعل هناك ايضا اثارا لم يعثر عليها بعد •

ذكرنا سابقا ان الترتيب الحالي وضعه يحيى بن يعمر ونصر بـن عاصم كاتبا الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق في عهد عبدالملك بن مروان الاموي في نهايـة القرن الاول الهجري • ويذكر حسين نصار (٤١) انـه كان نظام ثابـت للحروف موجودا بين يدي الخليل بن احمد الفراهيدي صاحب كتاب العين ، (١٠٠ـ١٧٥ هـ) وامامه صورتان منه : الابجدية القديمة (السريانية) والالف باء الحديثـة • الا ان اول اثر عثر عليه للترتيب العربي الحالي ، وضع بعـد وفاة الخليل الفراهيدي : فلقد وضع ابو عمرو الشيباني المتوفى سنة ٢٠٦ هـ على احدى الروايات كتابا سماه

(٤٠) رسـالة الخـط ، ص ٢٦
(٤١) المعجم العربى ج١ ، ص ٢١٩

كتاب الجيم ، (٤٢) رتبه ترتيبا بسيطا الف باء • وهو عبارة عن مصطلحات عربية اخذها من لهجات ثلاثين قبيلة ؛ من الارجح ان هذا الكتاب وضع في نهاية القرن الثاني الهجري • (٤٣) ولقد وضع سنة ١٩٧ هـ ابو عبيد بن سلام الهروي المتوفى سنة ٢٢٤ هـ معجما سماه «كتاب الاجناس من كلام العرب» • (٤٤) لا نعلم اي من هذين الكتابين هو الاقدم • ويظهر ان كليهما وليدا العقد الاخير من القرن الثاني للهجرة • (٤٥) ومن الذين اقتفوا اثار هذين المؤلفين في ترتيب حروف الهجاء : ابو بكر بن دريد (٢٢٣ـ٣٢١ هـ) في كتابه «جمهرة اللغة» • (٤٦) وابو القاسم الطبراني (٢٦٠ـ٣٦٠ هـ) في كتابه «المعجم الصغير» • (٤٧) وابو بكر محمد بن عزيز السجستاني المتوفى سنة ٣٣٠ هـ ، في كتابه «غريب القران المسمى بنزهة القلوب» • (٤٨) وابو هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ هـ في كتابه «المعجم في بقية الاشياء» • (٤٩) وابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا المتوفى سنة ٣٩٥ هـ في كتابه «معجم مقاييس اللغة» • (٥٠) وغيرهم عديدون •

اما ترتيب المغاربة فلم تبق لنا الايام من اثاره الاولى الشيء الكثير • واول أثر نعرفه له هو كتاب «معجم ما استعجم من اسماء المواضع والبلاد» • (٥١) وضعه

(٤٢) نسخة من هذا الكتاب محفوظة بمكتبة الاسكوريال باسبانيا وصورتها الادارة الثقافية للجامعة العربية • وقد نشره مجمع اللغة العربية في القاهرة في ثلاثة مجلدات (القاهرة ١٩٧٤ـ١٩٧٥) حققه ابراهيم الانباري راجعه محمد خلف الله احمد •

(٤٣) حسين نصار ج١ ، ص ٥١ـ٥٢

(٤٤) تصحيح امتياز علي عرشي الرامفوري ، بمبي (الهند) ١٩٣٨

(٤٥) أنسال القراء الذين يعثرون على اثر اقدم ان يدلونا عليه مشكورين

(٤٦) تحقيق فريتس كرنكو والشيخ محمد السورتي ، حيدر اباد ، ١٣٥١ هـ

(٤٧) تحقيق عبدالرحمان محمد عثمان ، ٨ اجزاء ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٦٨

(٤٨) تحقيق الشيخ مصطفى عناني ، القاهرة ١٩٣٦

(٤٩) تحقيق ابراهيم الانباري وعبدالحفيظ ، القاهرة ١٩٣٤

(٥٠) تحقيق عبدالسلام محمد هارون ١٣٦٩ هـ

(٥١) تحقيق مصطفى السقا (٤ مجلدات ؛ القاهرة ١٩٤٥ـ١٩٥١)

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

عبدالله ابو عبيد البكري الاندلسي (٤٢٨ـ٤٨٧ هـ) (٥٢) ٠

لقد بقي ترتيب حروف الهجاء لدى العرب مستقرا بعد اكتماله منذ اثاره الاولى اي منذ العقد الاخير للقرن الثاني الهجري ؛ ولم يختلف الا في امرين صغيرين :

١ ـ الالف المكتوبة مع اللام والمعروفة بلام الف ٠ حيث ان قسما من اللغويين اعتبروها حرفا مستقلا ، فاوردوها مع حروف العلة في اخر الحروف (٥٣) ٠

٢ ـ اختلاف مكان حرفي الهاء والواو ٠ ففي القرنين الثاني والثالث للهجرة وردت الواو قبل الهـاء ٠ واول من سبق الهاء على الواو كاتبان من القـرن الرابع الهجري ، وهما ابو هلال العسكري وابو الحسين احمـد بن فارس زكريا المتوفيان سنة ٣٩٥ هـ ٠ وتبعهما في القرن الخامس للهجرة ابو عبيد البكري الاندلسي ٠ بعد ذلك سبقت الهاء في اكثر كتب اللغويين ٠ الا ان ذلك لم يعم ، بـل وردت في حالات قليلة الواو قبل الهاء حتى في القرون المتاخرة ٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قدمنا للقارىء نبذة مختصرة عن راينا في نشوء الخط العربي بقلمية الاولـين الكوفي والنسخي ؛ ثم عن ترتيب حروف الهجاء العربية ٠ في حلقة قادمة سنتكلم ، ان شاء الله ، على تناظر الحروف في اللغتين العربية والسريانية ٠

للبحث صلـة

(٥٢) نسال القراء الذين يعثرون على اثر اقدم لترتيب المغاربة ان يعلمونا مشكورين

(٥٣) نرى ان الالف هذه حرف مستقل ومتميز عن الحرف الاول من حروف الهجاء الذي هو الهمزة ، وان اطلق عليه اسم الالف في حروف الهجاء تمشيا مـع تسمية الحرف الاول في سائر اللغات ٠ فان الهمزة تعد بين حروف الحلـق ، بينما الالف التي تكتب مع اللام ، فهي حرف علة ٠ ونتمنى ان نعلم في ذلـك اراء القـراء اللغويـين ٠

المصـــادر العـربيـــة

احمد بن جابر البلاذري ، كتاب فتوح البلدان ، مصر ١٩٠١
ابن دريد ، الاشتقاق ، القاهرة ١٩٥٨
ابن النديم ، الفهرست ، لايبسك ١٨٧١
ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، باريس ١٨٥٨
القلقشندي ، صبح الاعشى ، القاهرة ١٩١٤
المطران اقليميس يوسف داود،اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية،الموصل١٨٩٦
الشيخ احمد رضا ، رسالة الخط ، صيدا ١٩١٢
الاب انستاس ماري الكرملي ، مجلة لغة العرب ، المجلد الثاني ١٩١٣
البطريرك اغناطيوس افرام برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، حمص ١٩٤٣ (٥٤)
حفني ناصف ، تاريخ الادب ، القاهرة ١٩٥٨
حسين نصار ، المعجم العربي جزآن ، مصر ١٩٥٦
عثمان صبري ، نحو ابجدية جديدة ، القاهرة ١٩٦٤
عباس العزاوي ، الخط العربي في ايران ، مجلة سومر ، م ٢٣ ، ١٩٦٧

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المصـــادر الاجنبيـــة

Bibliographie

I. TAYLOR, The Alphabet, 2 Vol. London, 1883
N. ABBOT, The Rise of the North Arabic Script, Chicago, 1939
M. Cohen, La Grande Invention de l'Ecriture, Text, Paris, 1958
D. DIRINGER, Writing, London, 1962
D. DIRINGER, The Alphabet, 2 Vol., London, 1968

(٥٤) اعاد مجمع اللغة السريانية طبعه ، بغداد ، ١٩٦٧